قصة مدينة

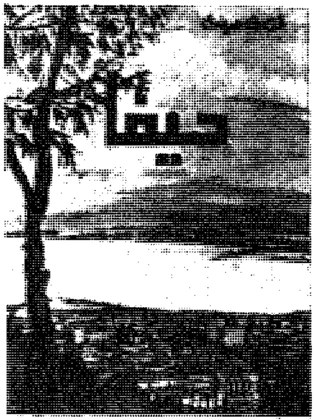


قصة مدينة

حيفا

سلسلة المدن الفلسطينية (٢١).

تصدر عن :
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية



الغلاف للفنان : وليد علي

سكرتير التحرير ومنسق المشروع

حسين العودات

المحتوى

تصديــر

اهتمت المؤتمرات الثقـافيـة والنـدوات على مستـوى الـوزراء والمسؤولـين والخـبراء العـرب، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني، وتجـديـدهما وتعـريف الأجيـال النـاشئة بهما، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومجلسها التنفيذي، مخططـاً متعـدد الجـوانب، متنـوع الأساليب، للوصول إلى هذا الهدف. وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة، لتنفيذ هذا المخطط، الذي يشمل اصدار دراسات علمية في اطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية)، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقـافـة والعلوم، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف اعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن، تتضـمن واقعها الجغرافي، وتطورها العمراني عبر العصور، وتـاريخهـا، وأنشطتهـا الاقتصـاديـة والاجتماعية والثقافية، ورصد التاريخ النضالي لسكـانهـا، ليستفيـد منهـا الطـالب والعـامل، والمثقف والمختص على حد سواء، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الامة العربية.

وإن هذا المشـروع، الـذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً، يمثل جانباً من نشاط المنظمـة في المجـال الفلسطيني، ومسـاهمة في بناء الثقافة الفلسطينية، وتقوية عرى العـلاقـة بين الفلسطينيين ووطنهم. وإني أشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الثقافة بمنظمة التحرير، وبالعمل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لإصدار كتب هذه السلسلة القومية.

ومن الله التوفيق

الدكتور محي الدين صابر
المدير العام
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



خارطة فلسطين

الفصل الأول

الجغرافيا الطبيعية

«على ساحل البحر المتوسط وفي الشمال من فلسطين تربض حيفا المدينة الجميلة والمزدحمة . . فمن على سفح كرملها الشاهق يغرق البصر في منظر جميل، ومشهد رائع، امتداد لانهائي لزرقة البحر المتلألىء، فخليج عكا الهلالي: فتيجان خضراء يانعة من جبال وجبال: سهل مرج ابن عامر يشقه نهر المقطع»[1].

أصل تسمية المدينة:

يرى البعض أن أصل الكلمة من حفّ بمعنى شاطىء[2] بينما يرى صاحب معجم البلدان بأن الأصل مأخوذ من حيفاء وهي من الحيف بمعنى الجور[3]، وقد تكون التسمية مأخوذة من الحيفة بمعنى الناحية[4]، ويرجّح رأي آخر بأن

---

١ ـ مصطفى مراد الدباغ، «بلادنا فلسطين» ج٧ ق٢، بيروت ٩١٧٤، ص ٥٣٥، سيشار لهذا المرجع لاحقاً بـ(الدباغ).

٢ ـ محمود العابدي «من تاريخنا» المجموعة الثانية، عمان، ١٩٦٣، ص ١٣٧، سيشار لهذا المرجع فيما بعد بـ (العابدي).

٣ ـ ياقوت الحموي «معجم البلدان» ج٣، بيروت ١٩٧٤، ص ٣٣٢.

٤ ـ قسطنطين خمار «جغرافية فلسطين المصورة»، بيروت ١٩٦٧، ص ١٢٣.

الأصل في الحيفة بمعنى المظلة والمحمية وذلك نظراً لأن جبال الكرمل تحيط بها وتحميها وتظللها[٥].

عرفت حيفا عبر العصور بأسماء متعددة ذات معانٍ مختلفة فهي في الكتاب المقدس الشاف، وكيفيا، وكلامون، ودعاها الفرنجة بورمير يا الجديدة نظراً لكثرة الاصداف على سواحلها. وتعتبر حيفا مصدراً رئيساً لصناعة الاصباغ البورفيرية، ومن أسمائها الأخرى إيفا، وسيكيمينوس وتعني أرض الجميز.

وعلى الرغم من تعدد أسماء هذه المدينة وظهور اسمها بعدة أشكال في اللغات الاوروبية، إلا أن التسمية الدارجة والمتعارف عليها الآن هي التسمية العربية حيفا HAIFA .

الموقع الجغرافي :

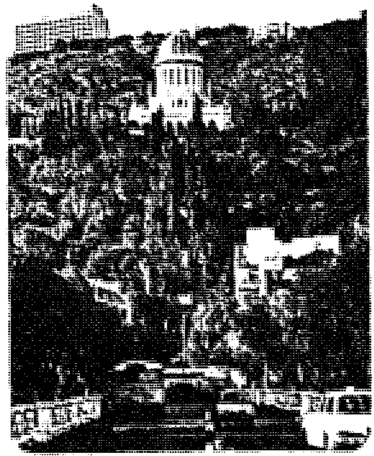
تقع حيفا في الطرف الشمالي من السهل الساحلي الفلسطيني، وفي الجزء الجنوبي من خليج عكا، وبالتحديد عند خط العرض ٤٩ , ٣٢° شمالاً وخط الطول ٣٥° شرقاً. وهي بذلك تحتل موقعاً جغرافياً مميزاً أكسبها أهمية كبرى طوال فترات تاريخها.

وقد ساهم موقعها في تطور المدينة وازدهارها، وتمثلت أهمية الموقع في كونها النافذة البحرية لظهير واسع غني بثرواته الطبيعية، وفقير بمنافذه البحرية. فحيفا من خلال مينائها هي المنفذ البحري لقرى المثلث الفلسطيني، الذي يمثله سهل مرج ابن عامر، المعبر الوحيد في جبال فلسطين الغربية، والذي يرتبط في الشرق بغور الأردن ولبنان وجنوب سوريا وشمال العراق.

لقد ساهم هذا الموقع الجغرافي للمدينة في ازدياد أهميتها التجارية نظراً لحركة البضائع الهائلة التي يتم استيرادها وتصديرها، بين مناطق الظهير الواسعة والعالم الخارجي عبر ميناء حيفا، الذي أصبح بدوره أحد أكبر موانىء سواحل البحر المتوسط خاصة بعد أن تم تطويره وافتتاحه رسمياً عام ١٩٣٣ .

---

٥ - جميل البحري «تاريخ حيفا» دمشق، ١٩٨٢، ص ٤، سيشار لهذا المرجع لاحقا بـ (البحري).



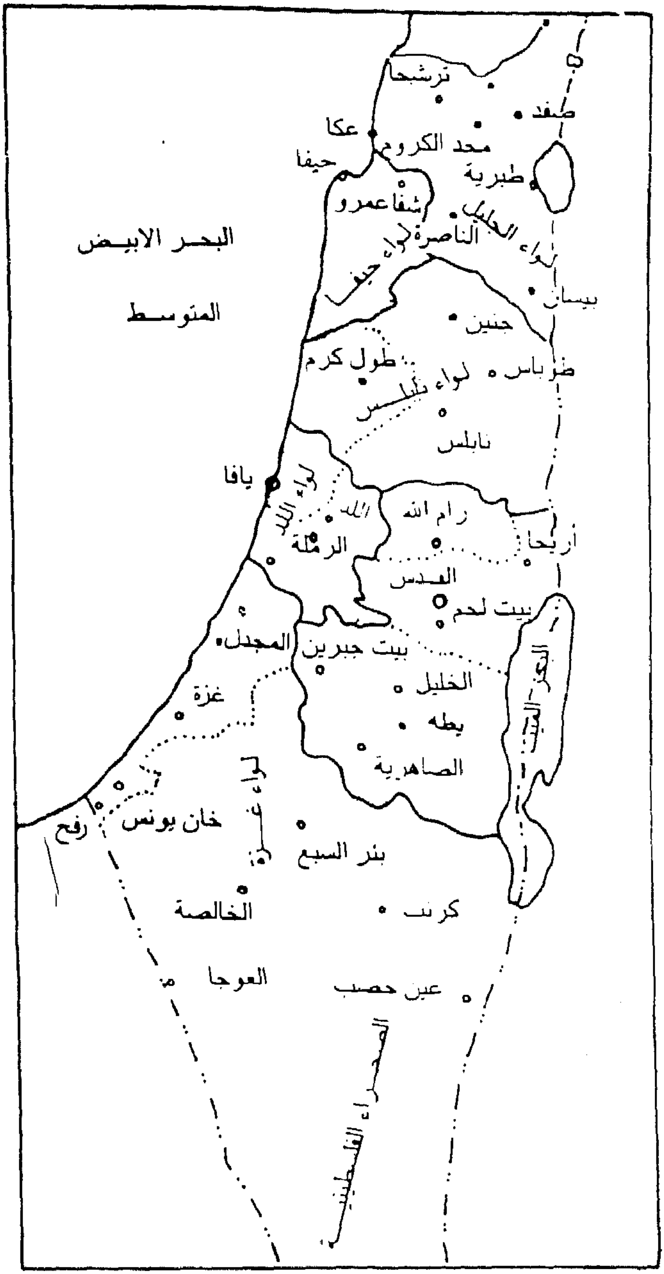
شوارع حيفا



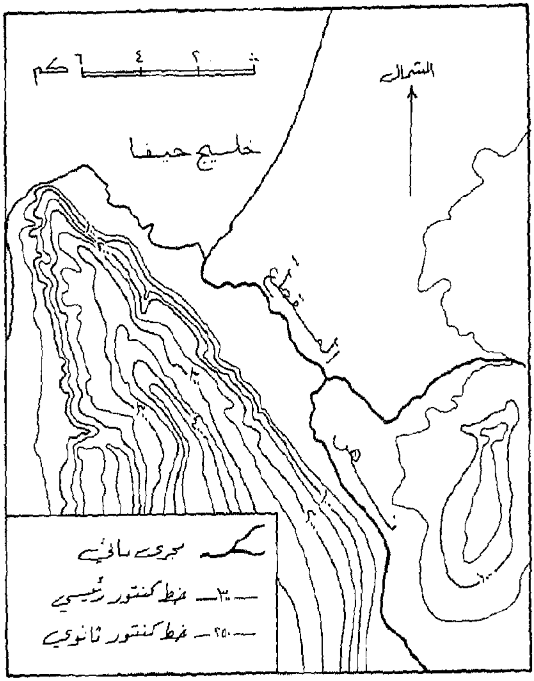
جبل الكرمل



ميناء حيفا



خارطة فلسطين



حيفا ـ خريطة كنتورية ـ (عن K.Yehuda,1971)

حالة ركود اقتصادي تام، بحيث لم يكن لها أي أهمية تذكر، وكان ميناء يافا هو الميناء الرئيسي لفلسطين في هذه الحقبة من الزمن، والتي تمتد من فترة ما قبل التاريخ وحتى عام ١٧٥٠م، حيث انتشرت المدينة وامتدت فوق منطقة ساحلية مكشوفة بشكل يجعل من الصعب الدفاع عنها، خاصة في حالة تعرضها لهجوم بحري، وبالتالي فقد كانت المدينة طوال هذه الحقبة عبارة عن لقمة سائغة لقراصنة البحر وجيوش الأعداء، مما أدى إلى تعرضها عدة مرات للدمار.

ومن ناحية أخرى فقد كانت المستنقعات تنتشر باستمرار على طول سواحلها، نتيجة لضحالة المياه في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى انتشار كثير من الأوبئة والأمراض التي كانت تفتك بسكان المدينة.

المرحلة الثانية : حيفا الجديدة

ابتـدأت هذه المـرحلة عام ١٧٥٠م حين قام ظاهـر العمـر حاكم صفـد بالانفصال عن والي دمشق وضم منطقة الجليل ومنطقة حيفا وتدمير المدينة . وحتى يوفـر أسبـاب الحماية لنفسه وجيوشه قام ببناء حيفا الجديدة داخل الخليج ، وجنوب شرق المـدينـة القديمة ، ومن ثم تحصينها بمجموعة من الأسوار والأبراج . وقد تميز موضـع حيفـا الجـديـد بواجهـة بحرية عميقة هي بمثابة مرفأ طبيعي محمي يسهل الـدفـاع عنـه . وفي الـوقت نفسـه يصلح لرسـو السفن الكبـيرة ويخلو من العـوائق الطبيعية ، إلى جانب أن هذا الموضع يمثل مفترق طرق رئيسي بين شمال فلسطين وجنوبها وشرقها .

لقد كان لمزايا الموضع الجديد هذا دور كبير في تطور مدينة حيفا وتقدمها وقد تمثل ذلك فيما يلي :

١ ـ أصبحت مدينـة حيفـا تمثل عقدة مواصلات برية ، ومحطة نقل رئيسة ، نظراً لكـونهـا نقطـة انقطـاع أرضي يرتبـط من خلالها البر بالبحر والسهل بالجبل والشمال بالجنوب والشرق بالغرب .

٢ ـ كان لعمق البيئة البحرية الساحلية المحاذية واتساعها ، إلى جانب وقوعها في منطقـة محميـة عنـد السفوح الشمالية لرأس الكرمل ، دور كبير في تطور ميناء المـدينـة ، الـذي أصبح ينافس الموانىء الفلسطينية بشكل خاص ، وموانىء الساحل الشرقي للبحر المتوسط بشكل عام ، حتى تفوق عليها جميعاً ، نظراً لما يتمتـع به من خصـائص تسهل عمليات رسو السفن بأحجامها المختلفة ، وتسهل عمليات تحميل وتنزيل البضائع .

٣ ـ كان لوجـود المـدينـة في منطقـة سهليـة ذات تربة خصبة وغنية بمصادر المياه الجوفية والسطحية ، دور كبير في تطور النشاط الزراعي في المنطقة .

٤ ـ تطـور الـوظيفـة السيـاحية للمدينة نتيجة توفر مقومات السياحة ، المتمثلة في تعـداد أشكال سطح الأرض . فالبيئات الجبلية بمناخها المعتدل ، والسهول بمـزارعهـا وحقـولهـا وأوديتهـا ، والبحر بهدوئه وزرقته ، كلها مجتمعة أضفت على المدينة منظراً طبيعياً خلاباً جعلها قبلة للسواح من كافة بقاع الأرض .

٥ ـ ومن النـاحيـة العسكـريـة ، كان مينـاء حيفـا قبل الاحتلال الإسرائيلي عام

١٩٤٨ يمثل أحد أهم القواعد البحرية العسكرية العربية، فيما لو تعرضت السواحل العربية الأخرى، خاصة في الجانب العربي الافريقي لأي اعتداء خارجي، وهذا ليس بغريب طالما أن هذا الميناء نفسه، كان مرشحاً ليكون القاعدة البحرية الأولى للدفاع عن قناة السويس في حالة تعرضها لأي اعتداء[٩] وبعد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة، أصبحت أحد أهم محاور الاستيطان الإسرائيلي، إذ بلغ عدد المستوطنات في قضاء حيفا حوالي ٩٠ مستوطنة[١٠]، إلى جانب أن منطقة حيفا أصبحت تشكل ثاني أكبر منطقة عمرانية وصناعية في فلسطين، وأصبح ميناؤها الميناء الرئيسي لفلسطين، إذ بلغ مجموع الخطوط المنتظمة البحرية التي تنطلق من هذا الميناء حوالي ١٧ خطاً إلى كافة دول العالم، بينما بلغ العدد الكلي للخطوط البحرية المنتظمة للأسطول التجاري الإسرائيلي حوالي ٢٣ خطاً[١١].

إن ما وصلت إليه مدينة حيفا من تقدم وازدهار، سواء قبل الاحتلال الإسرائيلي أو بعده، إنما يرتبط بالدرجة الأولى بالمزايا التي وفرها كل من الموقع والموضع، ولولا هذه المزايا لما كان لهذه المدينة أي قيمة تذكر، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

التضاريس

تتنوع أشكال سطح الأرض في منطقة حيفا نظراً لتعدد العمليات المسؤولة عن بناء التضاريس في المنطقة وأهم هذه العمليات:

١ - العمليات البنائية الصدعية التي تمثلت في مجموعة من حركات الشدّ، التي تعرضت لها التكوينات الصخرية في المنطقة، على طول خطوط صدوع

---

٩ - إلكس كرمل «تاريخ حيفا في العهد العثماني»، ترجمة تيسير إلياس، حيفا ١٩٧٩، ص ٢٨١، سيشار لهذا المرجع لاحقاً بـ (كرمل).

١٠ - ستناقش المستوطنات اليهودية في قضاء حيفا في فصل لاحق.

١١ - محمد توفيق محمد «الجغرافيا السياسية لاسرائيل»، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧، ص ٣٠٧.

رئيسة ذات اتجاهات شمالية شرقية تشرف على نهر المقطع، وجنوبية غربية تشرف على وادي المغارة. وقد نجم عن ذلك زحزحة عمودية قدرت بحوالي ١٠٠٠م، أدت إلى هبوط الأجزاء المحاذية لخط الصدع الشمالي وخط الصدع الجنوبي، بحيث ظهرت المنطقة الوسطى على شكل البروز الجبلي الذي عرف باسم جبل الكرمل، والذي نجم عن شكله الطولي ضيق السهل الساحلي الفلسطيني في منطقة حيفا، بحيث لا يتجاوز عرضه ٥كم، وكذلك أدى إلى شطر السهل الساحلي إلى قسم شمالي يعرف باسم سهل عكا، وقسم جنوبي يعرف باسم سهل سارونا.

٢ ـ العمليات المائية سواء النهرية أو البحرية، وقد عملت الأولى على بناء أشكال أرضية أهمها المراوح الفيضية، ومخاريط الركام على امتداد الحافات الصدعية وبواسطة المجاري المعلقة، بينما أدت العمليات البحرية إلى تشكيل المصاطب والجروف البحرية على امتداد خط الساحل.

٣ ـ العمليات الريحية، وقد أدى نشاط هذه العمليات بفعل الرياح الغربية الجنوبية الغربية إلى ظهور الكثبان الرملية على امتداد الشاطىء، من خلال عمليات التذرية والنقل التي تقوم بها الريح للحبيبات الرملية.

التركيب الصخري

يتنوع التركيب الصخري في منطقة حيفا نتيجة تعدد الأنواع الصخرية في المنطقة، والتي يمكن حصرها في ثلاث أنواع رئيسة هي:

١) الصخور الجيرية بأعمارها المختلفة.

٢) الصخور الرملية.

٣) الصخور النارية (البازلت).

وإذا كانت الصخور الجيرية والرملية قد ارتبطت بعمليات الترسيب المائي، سواء النهري أو البحري في المنطقة، فإن الصخور النارية قد ارتبط وجودها بالحركات البنائية والنشاط البركاني، ويوضح الشكل التالي (مقطع جيولوجي)

الأنـواع الصخـريـة في منطقـة حيفا على امتداد المحور شمال شرق ـ جنوب غرب مروراً بجبل الكرمل.

التربة في منطقة حيفا

تسـود أنـواع متعـددة من الـترب في منطقـة حيفا، نظراً لتنوع الصخور من ناحية وتنوع الظروف المناخية المحلية في المناطق المختلفة من ناحية أخرى، وأشهر أنواع الترب السائدة في المنطقة هي:

١ ـ تربـة البحـر الأبيض المتـوسـط الحمـراء Terra-rossa، وتـوجـد في مناطق مرتفعـات الكـرمـل، وهي تربة خصبة لا يتجاوز عمقها ٥٠ سم، اكتسبت لونها نتيجة لغناها بأكاسيد الحديد، وينتج هذا النوع من الترب عادة بفعل تحلل الصخر الجيري بواسطة الأمطار.

٢ ـ تربـة البحـر المتـوسـط البنيـة، وتسـود في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية وبالذات في مناطق الريحانية وأم الزينات.

٣ ـ الترب الرملية الحمراء والبنية، وتسود في مناطق الساحل الفلسطيني.

٤ ـ الـترب الفيضيـة، ويغلب على تكـوينـاتهـا الطمي والغـرين، وتتواجد في الأحواض الدنيا للأودية والأنهار عند مصباتها، سواء في الأجزاء القارية أو البحرية.

لقد كان لتنوع الترب وخصوبتها في منطقة حيفا دور كبير، في تطور قطـاع الـزراعـة، وذلـك من خلال تنـوع المحاصيل التي بحكم زراعتها في المنطقة، بناء على أنواع الترب السائدة.

مناخ حيفا

تمتـاز مدينـة حيفـا بمنـاخ متـوسطي معتـدل ماطـر في فصل الشتاء، وتتميز الأمطـار هنـا بالتـذبـذب نظـراً لكـونهـا من النـوع الإعصـاري النـاجم عن قدوم الأعاصير من الواجهة البحرية المتوسطية، والتي تشكل نتيجة للاختلاف في توزيع الضغـط الجـوي بين اليـابس والماء. ويبلغ معدل التساقط السنوي في مدينة حيفا

حوالي ٦٠٠ ملم، مع ملاحظة أن هذا المعدل يرتفع ويصل إلى ٧٠٠ ملم في جبل الكرمل، ويتركز معظم كمية الأمطار الساقطة في شهري كانون الأول وكانون الثاني اللذين يشكلان قمة منحنى التساقط، حيث بلغ هذا المعدل فيهما للفترة ١٩٠١ ـ ١٩٤١، حوالي (١٦٧) ملم وبلغ معدل الأيام الماطرة بحوالي ٣١ يوماً[١٢].

وبلغ معدل درجات الحرارة السنوي حوالي ٢٠ درجة مئوية، ويصل أدنى حد له في شهر كانون الثاني عندما يبلغ ١٢ درجة مئوية، أما حده الأعلى فيتحقق في شهر آب حيث يصل إلى حوالي ٢٩ درجة مئوية، أما المدى الحراري اليومي فلا يتجاوز خمس درجات مئوية، وذلك ناجم عن الحركة اليومية للرياح المحلية المتمثلة في نسيم البر والبحر، والتي تساعد على توزيع درجات الحرارة بين اليابس والماء.

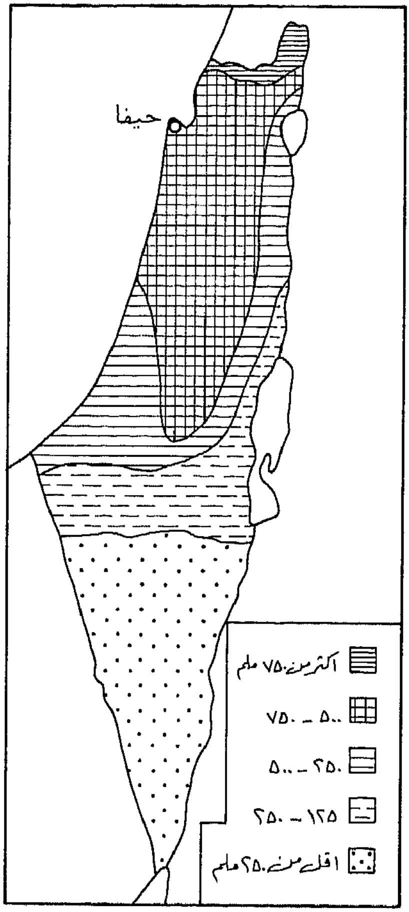
تتعرض حيفا مثل باقي مدن الساحل الفلسطيني لنوعين من الرياح هما:

١ ـ الرياح الشرقية والشمالية الشرقية (الخماسين)، وتتعرض لها المدينة في أوائل فصل الصيف، إلا أن نسيم البحر يعمل على التخفيف من أثر هذه الرياح الحارة الجافة.
٢ ـ الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء، وهي الرياح التي تسبب سقوط الأمطار في فصل الشتاء على مناطق الساحل الفلسطيني بما في ذلك حيفا.

أما الرطوبة النسبية فهي مرتفعة طوال العام بحكم وقوع المدينة على الساحل. وقد تراوح معدل الرطوبة النسبية في المدينة بين ٦٢ ـ ٧٠ بالمئة، حيث تصل الرطوبة النسبية أقصى معدل لها في فصل الشتاء، بينما تقل في فصل الصيف نتيجة هبوب رياح الخماسين الحارة الجافة.

---

١٢ ـ الدباغ، ص ٥١٣.



كميات الأمطار في فلسطين (عن النحال ١٩٦١)

مصادر المياه :

تعد الأمطار المصدر الأساسي للمياه في المنطقة، والتي يتسرب جزء منها ويعمل على تغذية الخزانات الجوفية، التي تستغل مياهها على شكل ينابيع وآبار ارتوازية، أما الجزء الآخر من مياه الأمطار، فيتجمع في أحواض التصريف المائي وينتقل عبر المجاري المائية والأودية التي تنتهي غالباً إلى البحر.

المياه الجوفية :

يمكن الوصول إلى المياه الجوفية في منطقة حيفا على أعماق تتراوح بين ٢٠ ـ ٤٠م، حسب بعد الشاطىء. وقد قامت «اسرائيل» مؤخراً بتنفيذ مجموعة من مشاريع استغلال المياه الجوفية لأغراض الشرب والزراعة في المنطقة، وأشهر هذه المشاريع :

مشروع مصب نهر المقطع ١,٥ مليون م٣ سنوياً.
مشروع حيفا بطاقة ٩٠ مليون م٣ سنوياً.
مشروع وادي الطيرة بطاقة ٢٢ مليون م٣ سنوياً.

المياه السطحية :

وتمثلها مجموعة الأودية والأنهار في المنطقة وأشهرها :

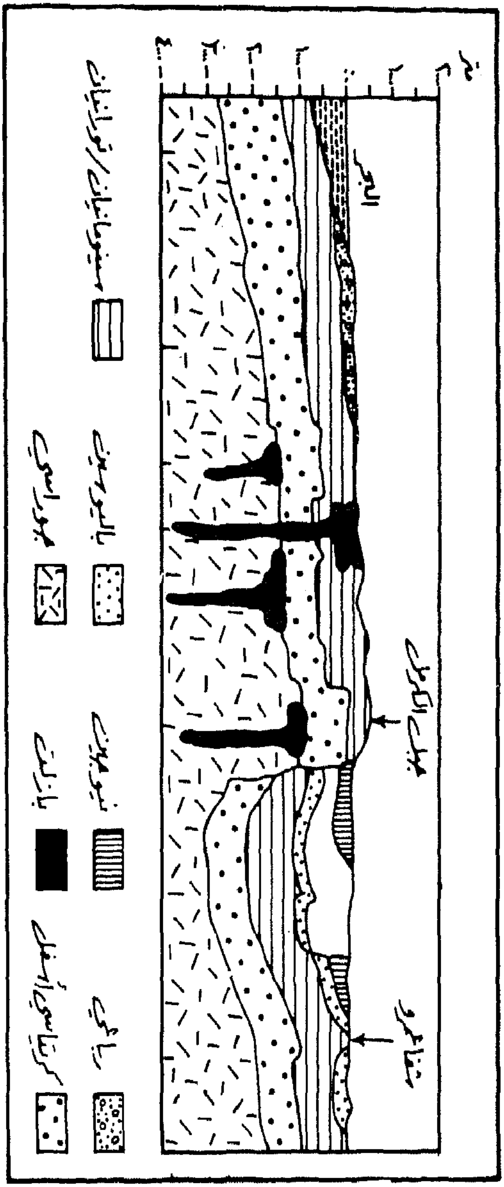
١ ـ نهر المقطع ويعرف باسم نهر حيفا، ويصب شمال المدينة بثلاثة كيلو مترات، ويعتبر ثالث أنهار فلسطين، وتتجمع مياهه من منطقة سهل مرج ابن عامر ويبلغ معدل الصبيب المائي له حوالي ١٠ مليون م٣ سنوياً[١٣].

٢ ـ نهر الزرقاء أو نهر التمساح، ويقدر الصبيب السنوي للنهر بحوالي ١١٠مليون م٣، ويصب في البحر المتوسط بين قيسارية والطنطورة.

---

١٣ ـ الموسوعة الفلسطينية ص ٣٠٤.

٣ - مجمـوعـة الأوديـة الفصلية، مثل وادي الفلاح، وادي المغارة، نهر الدفلى، وجميـع هذه الأوديـة متقطعـة الجـريـان، حيث يقتصـر جريـانها على فصل تساقط الأمطار.



مقطع جيولوجي لمنطقة حيفا

الفصل الثاني

السكان

على الـرغم من تعـرض مدينـة حيفـا عبر العصـور لكثـير من الأحـداث السيـاسيـة والعسكـريـة، التي أدت في كثـير مكن الأحيان لتدمير أجزاء كبيرة من المدينة، إلا أن إعادة بناء هذه الأجزاء كانت تتم بصورة سريعة، وكان عدد سكانها رغم كل ذلك في تزايد مستمر[1].

ازداد عدد سكان مدينة حيفا بشكل مضطرد خصوصاً بعد استيطان الألمان في المـدينـة، وبعـد مد سكـة حديـد الحجاز، وإقامة محطة جديدة في المدينة. وقد لوحـظ أن عدد سكـان مدينـة حيفا في نهاية العهد العثماني قد تضاعف حوالي ست مرات، وهـذا لم يحدث لأي مدينـة أخـرى في فلسطين؛ فقد قدر عدد سكان حيفا عام ١٨٦٨ بحـوالي (٤٠٠٠) نسمـة وقـدره المـهنـدس الألمـاني شومـاخـر عام ١٨٨٦ بحـوالي ٧١٦٥ نسمـة، وحسب أقـوالـه فإن اليهـود قد تهربـوا بشكل خاص من الإحصـاء[2]. وقـدر عدد سكـان المدينة عام ١٩١١ بحوالي (٢٠) ألف

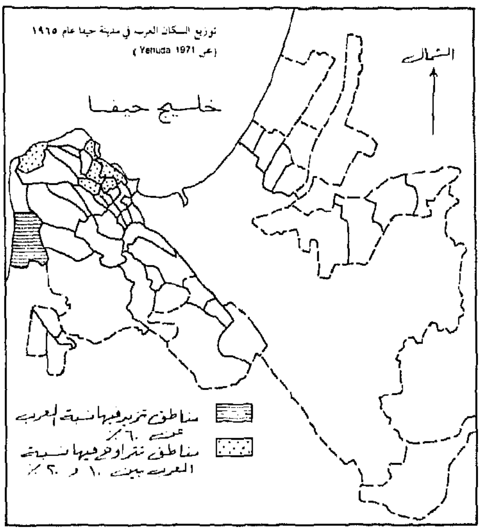
---

١ ـ تعـرضت مدينـة حيفـا للتدمير من قبل الحملة الصليبية الأولى عام ١١٠٠ م، وتعرضت مرة اخـرى للتـدمـير في عصـر الحملة الصليبيـة الثالثة ١٢٥٠م، ودمرت عام ١٧٥٠م من قبل ظاهر العمـر الـذي قام ببنـاء مدينـة حيفـا الجـديـدة، ودمـر جزء كبـير من المـدينة عام ١٨٤٠ من قبل الأسطول العثماني الذي جاء لتحرير المدينة من الحكم المصري.

٢ ـ إلكس كرمل، ص ٢٦١.

نسمة، وعام ١٩١٤ بحوالي (٢٣) ألف نسمة، ووفقاً للإحصاءات الرسمية التي تمت في فلسطين، فقد تزايد سكان المدينة باستمرار، والجدول التالي يوضح تطور عدد سكان المدينة: (٣)

السنة	عدد السكان الكلي	عدد السكان اليهود	نسبة السكان اليهود الى مجموع السكان الحالي
*١٨٨٩	٨١٥٠	١٦٥٠	٪٢٠
١٩١٤	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠	٪١٥
١٩٢٢	٢٤٦٣٠	٦٢٣٠	٪٢٥
١٩٣١	٥٠٤٠٠	١٦٠٠٠	٪٣٨
**١٩٤٤	١٢٨٠٠٠	٦٦٠٠٠	٪٥٢



---

٣ ـ الجدول عن: Gradus ychuda «The spatial urban ecology of Metropolitan HAIFA, PH.D. university of Pittsburgh. U.S.A 1971. p 47.

* ـ يشمل التعداد مدينة حيفا وضواحيها.

** ـ التعداد لهذه السنة مأخوذ عن: Statistical Abstract of Israel. No. 36 and 38, 1985, 1987.

ويلاحظ من الجدول المذكور آنفاً التزايد المستمر في نسبة أعداد اليهود في المدينة، وهذا يرتبط بالدرجة الأولى باستمرار تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين بشكل عام وإلى مدينة حيفا بشكل خاص، والجدول التالي[٤] يوضح مدى الزيادة في أعداد السكان اليهود إذا ما قورنت بالزيادة في أعداد السكان العرب.

	١٩٢٢	١٩٣١	١٩٤٥
عرب	٢٤٦٣٠	٥٠٤٠٠	١٢٨٠٠٠
يهود*	٦٢٣٠	١٦٠٠٠	٦٦٠٠٠

ورغم استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلا أن عدد اليهود ولغاية سنة ١٩٤٥ لم يشكل أكثر من نصف سكان المدينة، وهذا يعود لسببين هما:

١ ـ ارتفاع معدلات الخصوبة عند السكان العرب، بشكل جعلهم باستمرار في حالة توازن سكاني مع أعداد اليهود رغم هجرتهم المتزايدة.

٢ ـ الهجرة اليهودية إلى المدن الفلسطينية الأخرى، حيث كانت حيفا من خلال مينائها، تشكل نقطة استقبال لليهود المهاجرين إلى فلسطين، ومن ثم يبدأ هؤلاء بالانتشار والتوزع على المناطق الفلسطينية الأخرى.

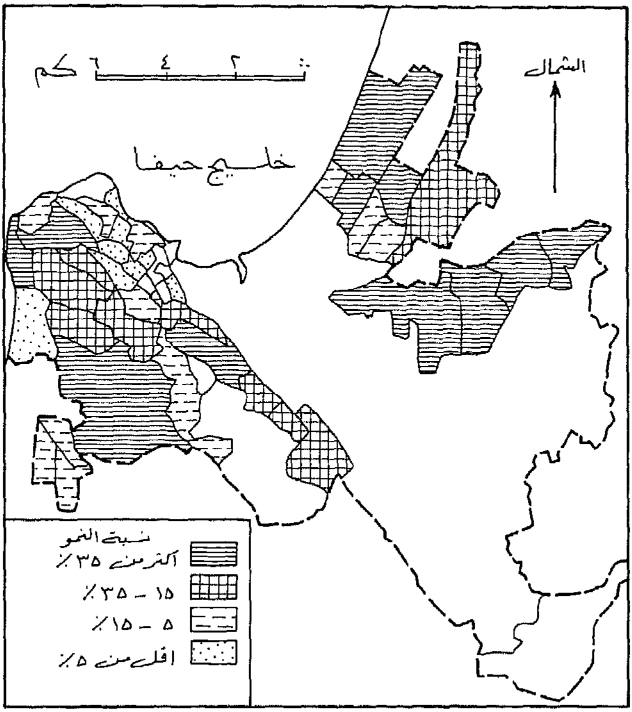
وعلى الرغم من أن السكان العرب هم السكان الأصليون، إلا أن مكانتهم كانت أضعف من المجموعات السكانية الأخرى، نتيجة لضعف المستوى التعليمي لهم، حيث كانت غالبيتهم من العمال غير الفنيين، واقتصرت أعمالهم في الغالب على الأعمال المتعلقة بالبحر والملاحة.

---

٤ ـ الدباغ، ص ٤٥٧.

* ـ يبدو في هذا الجدول أن اعداد اليهود لعام ١٩٤٥ أكبر بكثير منها في الجدول السابق الذي كان مصدره الكتاب السنوي الاحصائي لإسرائيل، وغيره من المصادر الغربية، لكتاب ساره جراهام التالي. وهذا التباين واضح ومكشوف حيث تسعى هذه المصادر الإسرائيلية والغربية أن تقلل من دور الهجرة الصهيونية الى فلسطين قبل الاحتلال عام ١٩٤٨.

Sarah. Graham- Broun, Palastinians and Their Society 1880- 1946 « A Photographic Essay»; Quartet Books- London 1980, p. 102.



نسب النمو السكاني في مدينة حيفا
في الفترة ١٩٤٨ - ١٩٦٥
(عن Yehuda: 1971)

أمـا الأوروبيـون فقـد كانوا يمثلون أقل مجموعة سكانية في المدينة، إلا أنهم كانـوا في الـوقت نفسـه القلة الأكثـر نفـوذاً وسلطة في المدينة، حيث كانوا يتمتعون بمكـانـة سيـاسية واقتصادية كبيرة، وكانت نسبة الأغنياء بينهم مرتفعة جداً، إلى جانب أن معظمهم كان يعمل في الصناعة والتجارة.

كان اليهـود يسعـون إلى تعـزيز منزلتهم، وزيادة نفوذهم من خلال العمل بالتجـارة والصنـاعـة، وامتـلاك مسـاحات واسعة من الأراضي لتحقيق هدفهم، المتمثـل في طرد السكـان العـرب، وإقـامة وطن قومي لهم في البلاد. فلقد كشفت هذه النـوايـا اليهـودية منذ البداية من قبل أبناء الفئة الفلسطينية المثقفة في المدينة، ومن خلال جريـدة الكـرمـل، والصحف الفلسطينيـة الأخرى التي قامت بتحذير السكان العرب من نوايا اليهود وكشف مخططاتهم.

هبط مجموع سكان حيفا في أواخر عام ١٩٤٨ إلى ٩٧,٥٤٤ نسمة بسبب الاحتلال الإسرائيلي للمدينة وطرد السكان العرب منها، فأصبح الصهيونيون يؤلفون بعد رحيل معظم العرب ٩٦٪ من عدد سكان المدينة. وفي نهاية ١٩٥٠ زاد عدد سكان حيفا بفعل تدفق المهاجرين الصهيونيين للاقامة فيها فوصل إلى ١٤٠,٠٠٠ نسمة. وأخذت المدينة تنمو باضطراد بعدئذ. ففي عام ١٩٥٢ كان عدد سكانها أكثر من ١٥٠,٠٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٥٥ وصل إلى ١٥٨,٧٠٠ نسمة، ثم زاد إلى ١٨٣,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦١، وإلى ٢٠٩,٩٠٠ نسمة عام ١٩٦٧، ووصل إلى ٢٢٥,٨٠٠ نسمة عام ١٩٧٣[٥].

٥ ـ الموسوعة الفلسطينية، المجلد ٢ ص ٣٠٤.

الفصل الثالث

تاريخ حيفا

أولاً: حيفا في العصور القديمة

ما زال الغموض يكتنف نشوء المدينة، إذ لم يستطع المؤرخون تحديد الفترة الزمنية التي نشأت فيها المدينة، رغم أن معظم الحفريات الأثرية تشير إلى أن مناطق حوض شرق البحر الأبيض المتوسط، كانت من أحد أهم المناطق التي أقام فيها الإنسان الأول حضارته، نظراً لموقعها الجغرافي المتميز، ومناخها المعتدل، وخصوبة أرضها، ووفرة المياه فيها. وقد تبين من خلال الاكتشافات الأثرية في المدينة، أنها كانت من المدن التي استوطنها الإنسان في أقدم العصور ولعل أهم هذه الاكتشافات ما يلي:

١ ـ مغارة الواد بنقوشها ومنحوتاتها ورسوماتها التي تعود بتاريخها إلى حوالي (١٥) ألف سنة قبل الميلاد.

٢ ـ الأدوات الحجرية والرسومات التي تم اكتشافها في منطقة المدينة والتي تعود للفترة الواقعة بين (١٢٦٠٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م).

ومن خلال دراسة الاكتشافات الأثرية في منطقة حيفا وقضائها، من حيث خصائصها ومميزاتها ومواصفاتها والمادة الخام المستخدمة وطبيعة الرسومات، تبين أن العرب الكنعانيون هم أول من استوطن المنطقة وأقاموا فيها الكثير من مدنهم وقراهم مثل الطنطورة وعتليت وقيسارية[1].

---

١ ـ الدباغ، ص ٤٨٣.

وعند شواطيء حيفا نشبت معركة بين الفلسطينين والمصريين في عهد رمسيس ١١٩١ ق. م، امتلك الفلسطينيون بعدها الساحل من غزة إلى الجبل، ولما استولى اليهود في عهد يشوع بن نون على فلسطين جعلت حيفا من حصة (سبط منس)[٢]. وأصبحت تابعة لحكم أشير أحد أسباط بني إسرائيل، بعد سقوط الحكم الكنعاني[٣].

وقد تقلبت عليها الأحوال فزهت وخربت مرات كثيرة في عهود الأمم التي تغلبت على فلسطين، كالآشوريين، والكلدانيين والفرس واليونان والسلوقيين[٤].

وفي عام (١٠٤) خضعت حيفا للحكم المصري، بعد أن قام المصريون باحتلال فلسطين، وبقيت كذلك إلى أن سقطت في يد الرومان، وأصبحت فلسطين بما فيها حيفا جزءاً من الامبراطورية الرومانية.

ارتبطت مدينة حيفا بعدّة أحداث ومناسبات دينية جعلت لها مكانة خاصة، إذ يقال إن النبيين الياس واليشع علّما تلاميذهما الديانة في المكان الذي أصبح يطلق عليه اسم «الخضر». «مدرسة الأنبياء»، قرب الفنار بين تل السمك ورأس الكروم. والموقع بناء إسلامي قديم وسط حديقة كان يضمّ مسجداً فيه مغارة تضم كتابة يونانية. واشتهر جبل الكرمل أيام النبي الياس لانتصاره فوق قمته على أعدائه الوثنيين، حتى إن بعض الناس يدعونه أحياناً باسم جبل مار الياس. ومار الياس يقع قرب الخضر، وفيه قطع معمارية وبقايا كنيسة منقورة في الصخر.

ويذكر الإنجيل أن السيد المسيح وطيء أرض حيفا وباركها حين مرّ بها مع مريم العذراء في طريقه من مصر إلى الناصرة. وقد اتبع الطريق الساحلية هرباً من خطر الحاكم الروماني. وكانت هذه الطريق الساحلية الرومانية تمرّ بحيفا العتيقة، وتقطع مقام الخضر وتمرّ بالزورة، وتسير مع شاطىء البحر أمام باب الكنيسة اللاتينية.

ومرّ بحيفا بولس الرسول في رحلته الثالثة (٥٨م) قادماً من عكا. وقد حفل جبل الكرمل منذ ظهور المسيحية بالنساك ومنهم القديس يعقوب ناسك الكرمل.

---

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية مادة حيفا.

٣ ـ البحري، ص ٦.

٤ ـ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، حيفا.

وكـانت حيفـا تقـوم أيـام الحكم الـرومـاني كما تقدّم على موقع تل السمك غربي حيفا وجنوبي رأس الكرمل. وتضمّ البقعة أسس أبنية، وأرضيات مرصوفة بالفسيفسـاء وصخـوراً منحـوتـة، وقبـوراً منقـورة في الصخر، ومرسى، وفيها إلى الشرق أسس كنيسة رصفت أرضها بالفسيفساء.

وفي تل السمك موقع يسمّى شيقومونا، وهو تحريف شيكما اليونانية ومعناها الجمّيـز أو التـوت. وفي هذا المـوقـع جدار حظـيرة، ونحت في الصخور. ومدافن منقـورة، وأحواض معصرة خمر أرضها مرصوفة بالفسيفساء. ولعل قلمون، البلدة التي تعود إلى أيام الرومان، كانت تقوم على البقعة التي تعرف اليوم باسم تل أبو حوام قرب مصب نهر المقطّـع، وكـانت هذه المـدينة ميناء بيسان ومجدو. وقد عثر في حيفا القديمة. على رصيف بحري وقبر وحمّام تعود إلى العصر الروماني(٥).

ثانياً: الفتح العربي الاسلامي

تـم فتح حيفا في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وذلك على يد قائـده عمـر بن العـاص عام ٦٣٣م، ونتيجـة لذلـك فقـد بدأت القبـائل العربية بالاستقرار في فلسطين، وعلى وجه الخصوص في منطقة الساحل الفلسطيني. ومن أهم القبائل التي استقرت في منطقة حيفا قبيلة بني عامر بن لام في سهل مرج ابن عامر، وقبيلة بني لام في منطقة كفر لام(٦)، وبقيت حيفا جزءاً من الدولة الإسلامية طيلة العهد الأموي والعباسي، وقد ورد أقدم ذكر لحيفا في المصادر العربية في ثلاثة مصادر هي: (٧)

١ ـ كتـاب ناصـر خسـرو (سفر نامة) حيث قال (ثم غادرتها (أي عكا) إلى قرية تسمى حيفـا، في طريق به كثير من الرمل يستخدمه صياغ العجم ويسمى بالـرمـل المكي. وحيفـا مشيـدة على البحر وبها نخل وأشجار، وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي)(٨).

---

٥ ـ الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق.

٦ ـ الدباغ، ص ٤٨٣.

٧ ـ العابدي، ص ١٣٨.

٨ ـ الموسوعة الفلسطينية.

٢ ـ الشـريف الإدريسي عام ١١٥٤م حيث ذكر حيفا بأنها تقع تحت طرف الكرمل وبها مرسى حسن للأساطيل.

٣ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي عام ١٢٢٥م، حيث قال بأن حيفا عبارة عن حصن على ساحل الشام بقي في أيدي المسلمين إلى أن سقط عام ١١٠٠م بيد الفرنجة.

ثالثاً: حيفا في عصر الغزو الفرنجي (الحروب الصليبية):

ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها، وعجز الخلفاء في السيطرة على أجزاء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، الأمر الذي أدى إلى تمرد بعض الولاة وإعلان قيام دويلاتهم المستقلة عن الدولة الأم، وهوما يعرف في التاريخ بعصر الدويلات. وقد ترتب على ذلك زيادة في ضعف الدولة الإسلامية وتشتتها وفرقتها، مما حدا بالدول الأوروبية إلى إظهار مطامعها بأملاك الدولة الإسلامية من خلال محاولاتها السيطرة على أجزاء من أراضي هذه الدولة بحجة حماية المناطق المقدسة. وقد أدت هذه الاطماع إلى القيام بعدد من الحملات.

ومع بدء الحملة الأولى على الشام بقيادة «غودفري» سقطت حيفا بيد الفرنجة عام ١١٠٠م على يد «تانكر» أحد قادة هذه الحملة، والذي حاصر المدينة طويلاً، إلى أن تمكن من دخولها وذبح كل من فيها ودمرها. وبقيت حيفا تحت السيطرة الفرنجية إلى أن ظهرت الدولة الأيوبية في مصر وتمكن قائدها الناصر صلاح الدين الأيوبي من تحريرها هي وكافة المدن الفلسطينية بعد انتصاره الخالد على الصليبيين في معركة حطين المشهورة عام ١١٨٧م.

استمر مجيء حملات الفرنجة إلى بلاد الشام، حيث تمكنت الحملة الثالثة من إعادة احتلال فلسطين بما فيها حيفا، وقد أمر لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين المدينة عام ١٢٥٠م، خوفاً من هجمات العرب المسلمين. وفي هذه الفترة كان الحكم في مصر قد انتقل من الأيوبيين إلى المماليك، وتمكن الظاهر بيبرس من فتحها عام ١٢٦٥م ثم استولى الفرنجة عليها ثانية فعاد الملك الأشرف خليل بن قلاوون، من تطهير كافة بلاد الشام بما فيها حيفا من فلول الفرنجة عام ١٢٩١م، وبذلك عادت حيفا من جديد للحكم العربي الإسلامي.

أوقع المماليك الخراب بحيفا، كما بغيرها من المدن الساحلية، حتى لا يستفيد منها الأعداء. وقد وصف القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) المدينة في «صبح الأعشى» بقوله: «وهي خراب على الساحل». وكانت حيفا خلال العهد المملوكي جزءاً من عمل اللجون الذي كان تابعاً لصفد، والقاعدة الخامسة من قواعد المملكة الشامية[٩].

رابعاً: حيفا في العهد العثماني

انتقلت حيفا إلى العثمانيين في عهد سليم الأول ٩٢٢هـ/١٥١٦م. وقد أشير إليها في مطلع العهد بأنها قرية في ناحية ساحل عتليت الغربي التابع لسنجق (لواء) اللجون، أحد ألوية ولاية دمشق الشام.

بدأ العثمانيون منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر يعمّرون الساحل الشامي، وفيه حيفا، وسارت عملية إعمارها ببطء. وذكرت دفاتر التمليك (الطابو) أن قرية حيفا كانت ضمن اقطاع آل طرباي الذين أصبحوا يعرفون باسم الأسرة الحارثية في مرج ابن عامر ٨٨٥هـ - ١٠٨٨هـ/ ١٤٨٠ - ١٦٧٧م. ولم تعمل هذه الأسرة على تشجيع التجارة مع الأوروبيين على غرار ما فعل فخر الدين المعني في بيروت وصيدا وعكا، ولا عاد تجّار الإفرنج يرتادون ميناء حيفا خوفاً من الأذى. وقد تضررت حيفا بسبب الصراع بين الأمير أحمد الحارثي والأمير فخر الدين المعني. وأخضعها فخر الدين لسيطرته عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م. ثم تمّ الصلح بين المعنيين والحوارث في العام نفسه، وعادت حيفا إلى الأمير أحمد الحارثي الذي عمل بعد ذلك على الاهتمام بالميناء، وأعطى الرهبان الكرمليين إذناً ببناء مساكن في الميناء، وضمانات بالحماية.

ضمّ قسم كبير من الأراضي المحيطة بحيفا، وفيها الخليج الشمالي، إلى ولاية صيدا الجديدة في القرن السابع عشر. وقد جعلها بُعدها عن السلطة في دمشق مركزاً للتجارة المهربة، حتى أصبح يطلق عليها اسم مالطة الصغرى. فأصدرت الدولة العثمانية سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٦م. فرماناً ببناء الأبراج حول ميناء

---

٩ - الموسوعة الفلسطينية، ج ٢، ص ٣٠١.

حيفا لوضع حدّ للتهريب ولهجمات القراصنة (شيد البرج الشرقي سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م، والبرج الغربي سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٥م) وضمّت حيفا إلى الولاية صيدا، وعملت الدولة على تعميرها وتعمير الساحل كله، فقدمت الإعفاءات والإغراءات، ووفّرت الأمن والحماية للسواحل، فأدّى ذلك كله إلى تحوّل العناصر السكانية نحو الساحل، وإلى ازدهار تجاري وعمراني، بعد أن كانت السواحل مهجورة منذ إخراج الصليبيين عام ٦٩١هـ/ ١٢٩١م.

وفي منتصف القرن الثامن عشر خرّب الشيخ ظاهر العمر حيفا القديمة، وبنى إلى الجنوب الشرقي منها، عند نهاية الخليج، بلدة سمّاها العمارة الجديدة، ثم غلب عليها اسم حيفا الجديدة، وأقام فيها برجاً، وبنى حولها سوراً لها بوابتان، وقلعة على نتوء صخري يشرف على المدينة من الناحية الجنوبية. وشيّد أبناء الشيخ ظاهر الجامع السراي. وأقام الكرمليون ديرهم على قمة الجبل عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م، على مسيرة ٣ كم من حيفا.

صارت حيفا، بعد الشيخ ظاهر، إلى أحمد باشا الجزار، واحتلها كليبر عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩م، وأقام نابليون قيادته على جبل الكرمل، واتخذ الدير مشفى لجرحاه ولمرضى الطاعون أثناء حصار عكا، ثم أحرقه لما انسحب إلى مصر. وقد أعادت الدولة العثمانية حيفا إلى سلطتها وجدد عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م بناء الدير الكرملي. ثم دخلت حيفا ـ كسائر سورية ـ تحت حكم ابراهيم باشا حتى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، وقد زارها عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م الشاعر الفرنسي لا مرتين وتغنّى بروعة خليجها وسهلها وجبلها في كتابه «ذكريات وانطباعات وأفكار ورؤى خلال رحلة المشرق ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣م»، أو «مذكرات مسافر» المطبوع في باريس عام ١٨٣٥م.

ظلّت حيفا حتى القرن التاسع عشر قرية ضئيلة الشأن بلغ عدد سكانها ٤٠,٠٠٠ نسمة تقريباً في أوائل القرن المذكور. ولكنها أخذت بعد ذلك تنمو بسرعة، وبدأ كثير من الأجانب يقصدونها للاستيطان والعمل، أو للكشف العلمي، أو للنشاط التبشيري. وقد سمح لقرابة مائة عائلة ألمانية من فرسان الهيكل (الداويّة) بالنزول في أرض حيفا وأقاموا في حيّ خاص بهم شمالي غرب المدينة وبلغ عددهم أواخر القرن نحو ٨٠٠ نسمة.

دشنت السلطات العثمانية عام ١٣٠٤ هـ/ ١٨٨٦م أول طريق (عربيات) من حيفا إلى طبرية. وأصبحت حيفا عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م مركز قضاء يحمل اسمها (من أعمال لواء عكا التابع لولاية بيروت)، وأقيمت البنايات الجديدة خارج السور وامتدت إلى شواطىء البحر حيث البساتين والنخيل.

جرى في ١٩/١٢/١٨٩٢م في الطرف الشرقي للمدينة في وادي رشميا الاحتفال بافتتاح العمل في سكة حديد حيفا ـ دمشق (فرع الخط الحجازي). وقدم المهندس جورج جفري، مهندس المشفى الإنكليزي في حيفا، تقريره عن مبنى الإرسالية الانغليكانية الجديدة في ٢٩/٦/١٨٩٣م.

بدأت السلطات العثمانية استعدادها لزيارة الامبراطور الألماني غليوم الثاني لمدينة حيفا في طريقه إلى القدس، فبنت رصيفاً في الشاطىء لرسوّ يخت الإمبراطور قرب الحيّ الألماني غربي المدينة، وتم إنشاء طريق عربات بين حيفا ويافا، وأعيد ترميم الجسور وقد وصف حيفا في تلك الفترة إبراهيم الأسود في كتابه «الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية» بقوله: «مدينة حيفا قائمة في سفح جبل الكرمل، وفيها مباني طراز جديد، في مصاف مدن الدرجة الثانية في سورية، بعد أن كانت تعدّ منذ ثلاثين سنة من القرى، معظم تجارتها بالحبوب. وفيها قناصل لجميع الدول إلّا اليونان. وفي حيفا كثير من الفنادق والمعابد لجميع الطوائف».

ووصفها عام ١٩٠٤ الأب ماري جوزيف الكرملي في كتابه «المشرق» بأنها «أصبحت مدينة عامرة يتوارد إليها الناس»[١٠].

الاستيطان الألماني في مدينة حيفا

بدأ هذا الاستيطان عام ١٨٦٨ من قبل مجموعة عائلات ألمانية قادمة من جنوب غرب ألمانيا، وقد أقام هؤلاء مستوطنة لهم في القسم الغربي من المدينة، حيث زودها بكل وسائل الرفاه والتنظيم، فأقاموا المدارس الخاصة بهم وعبدوا الطرق وبنوا الحدائق، ووفروا كل مرافق الخدمات العامة فيها، ونتيجة لذلك بدأ عدد سكان المستعمرة في التزايد كما يبدو من الجدول التالي:

---

١٠ ـ الموسوعة الفلسطينية ج ٢، ص ٢ ـ ٣.

السنة	عدد الأشخاص	عدد البيوت
١٨٧٣	٢٥٤	٣١
١٨٧٥	٣١١	٨٥
١٩٠٢	٥١٧	٩٢

تطور اعداد السكان في المستعمرة الألمانية[١١]

وتلاحق بناء المستوطنات الألمانية في منطقة الساحل، حيث أقيمت مستعمرة ثانية عام ١٨٦٩م في حيفا، ثم مستعمرة ثالثة بجوار سابقتها أطلق عليها اسم شارونا، وقد مهدت هذه المستوطنات في النهاية إلى إقامة أول حي ألماني على الطراز الحديث في المدينة، وهو حي «كارملهايم» في جبل الكرمل[١٢].

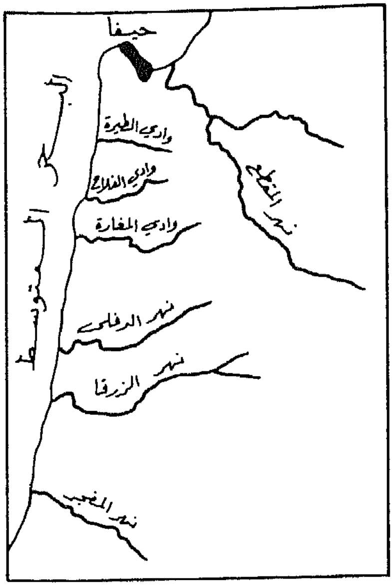
لا شك أن الألمان ساهموا في تطور مدينة حيفا، من خلال ماجلبوه من وسائل وأساليب زراعية حديثة، إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا يمثلون الحلقة الأولى من سلسلة الأطماع الاستعمارية، التي أدت في النهاية إلى إقامة الكيان الصهيوني الدخيل فوق الأرض الفلسطينية.

حيفا في عهد الانتداب البريطاني

بخروج بريطانيا منتصرة من الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، أصبحت فلسطين خاضعة لانتداب هذه الدولة، التي بدأت منذ اللحظة الأولى تدبير المؤامرات من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، خاصة بعد أن أعطت اليهود وعد بلفور المشؤوم، ولتحقيق هدفها قامت بريطانيا بتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتحريض اليهود على استملاك الأراضي وإقامة المستوطنات

١١ ـ كرمل، ص ١٧٨.

١٢ ـ كرمل، ص ١٧٨.



الأودية والأنهار في منطقة حيفا
(الدباغ: ١٩٧٤)

وطرد السكان العرب. ثم بدأت بتقديم كافة التسهيلات لليهود، التي تساعدهم على الاستملاك والاستيطان، حتى وصل عدد المستوطنات اليهودية في قضاء حيفا لوحده في العهد البريطاني حوالي ٦٢ مستوطنة[١٣]، وكنتيجة لتشجيع بريطانيا استمر تدفق الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وتمكنت بريطانيا اخيراً من الوفاء بعهدها للفئات الصهيونية.

معارك حيفا[١٤]

كانت حيفا في عام **١٩٤٧** من أكبر موانيء شرقي البحر المتوسط بعد الاسكندرية. وزاد من أهميتها وجود مصفاة لشركة نفط العراق فيها بالإضافة إلى وقوعها على عقدة طرق هامة حديدية وبرية وبالتالي اكتسبت أهمية خاصة بالنسبة

---

١٣ ـ الدباغ، ص ٦٩٩.

١٤ ـ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني.



جزء من الحي الألماني في الكرمل (كرمل: ١٩٧٩)

إلى السلطات البريطانية التي خططت لإجلاء قواتها عبر ميناء حيفا. وكانت لهذه المدينة أيضاً قيمة كبيرة في نظر الصهيونيين لكونها حلقة الوصل بين خطي المستعمرات الصهيونية اللذين يمتد الأول منهما من مرج ابن عامر إلى طبرية، ومن ثم إلى المطلّة على الحدود اللبنانية؛ ويمتد الثاني عبر السهل الساحلي الأوسط إلى يافا، ولأنهم طامعون في استغلال مرفئها لجلب المهاجرين الصهيونيين، وفي استغلال نفط المصفاة وأما بالنسبة إلى العرب فإن مدينة حيفا وسواها من مدن وقرى فلسطين تشكل أرضهم ووطنهم وحياتهم منذ أجيال، وبالتالي فهي أكثر أهمية من كونها ميناء أو مصفاة أو مدينة كبرى.

بدأ العرب فور صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩، يستعدون للدفاع عن أنفسهم ومدينتهم، ولكنهم كانوا يفتقرون إلى السلاح، العتاد، شأنهم في ذلك شأن عرب المدن الفلسطينية الأخرى، لأن حكومة الانتداب البريطاي حرمت على السكان العرب اقتناء السلاح أو حمله في حين تكدست الأسلحة لدى الصهيونيين. وبالتالي ضمّت مدينة حيفا قوة عسكرية صهيونية مدربة من الهاغاناه والأرغون تبلغ حوالي خمسة آلاف مقاتل منظمين ضمن وحدات وتشكيلات نظامية بقيادات كاملة.

من النـاحيـة الجغـرافية كانت الأحياء العربية واقعة في أرض منبسطة أسفل جبـل الكـرمـل ، في حين كان الصهيـونيـون الأفضل تنظيماً وتسليحاً يقطنون حي «هـدارا هاكـرمـل» على سفـوح جبـل الكـرمل ، وعلى المرتفعات وبجوار الميناء ، ويطوّقون بذلك الأحياء العربية . وبالإضافة إلى هذا كانت مدينة حيفا محاطة من جهاتها الأربع بعدد من المستعمرات الصهيونية القادرة على عرقلة المواصلات بين حيفا والمدن العربية المجاورة .

صمّم العـرب على الـدفاع مهما كلفهم الأمر، وشعروا بأن وضعهم يفرض عليهم الاعتـماد على النفس ، فتألفت لجنـة وطنيـة مسؤولـة سيـاسّيـاً أمـام الهيئة العربية العليا ، واعتمدت في تموينها بالسلاح على وعود اللجنة العسكرية الموجودة في دمشق . وكان يترأس اللجنة الوطنية رشيد الحاج إبراهيم . وكلّف الملازم محمد حمد الحنيطي مهمـة قيـادة الحـرس الـوطني وتنظيم الدفاع عن المدينة فقسمها إلى عشرة قطاعات جعل في كل منها جماعة مسلحة بقيادة شخص مسؤول واحد يتولى الاتصـال بقيـادة المـدينة المركزية .ولم يزد عدد أفراد الحرس الوطني عن ٣٥٠ شاباً معظمهم غير متفـرغ للمهـام العسكـريـة . وقـد لقي الحنيطي صعـوبـات جمة في الحصول على السلاح اللازم .



شارع البرج في حيفا في عشرينات القرن الحالي (كرمل : ١٩٧٩)

تولت اللجنة إلى جانب قضايا الأمن مهمة الإشراف على مختلف المصالح العربية فأصدرت نظاماً للتقنين ومراقبة الأسعار، وأشرفت على جميع التبرعات وصرفها. وعندما احتدمت المعارك نظمت الخدمات الطبية ومساعدة المنكوبين وتأمين المأكل والمأوى لأبناء الشهداء.

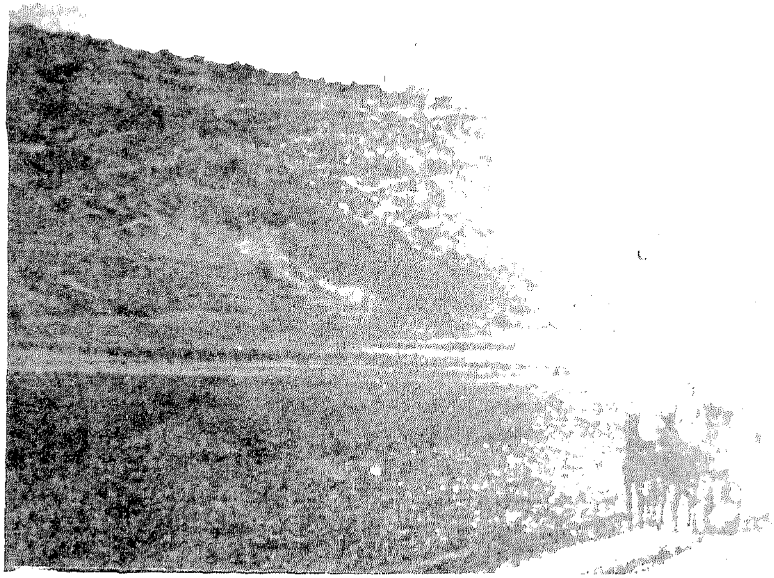
بدأت الاشتباكات اليومية بين العرب والصهيونيين فور صدور قرار التقسيم، ووقعت عدة اشتباكات أساسية زادت من توتر الموقف، ولا سيما بعد انفجار قنبلة وضعها الإرهابيون الصهيونيون في القطاع العربي من المدينة بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣٠، فكان من نتيجة الانفجار مقتل ٦ وجرح ٤١ من العمال العرب العاملين في مصفاة النفط انتقم لهم رفاقهم بالانقضاض على الصهيونيين العاملين في هذه المصفاة وقتل ٤١ منهم.

وبتاريخ ١٩٤٨/١/١٤ فجّر العرب عربة بريد في القطاع الصهيوني وأصيب من جراء ذلك ٤٥ صهيونياً، وكان اسوأ حدث بالنسبة إلى عرب حيفا استشهاد الملازم محمد الحنيطي الذي كان عائداً مع قافلة محملة بالسلاح والذخيرة من لبنان فتصدى له كمين صهيوني بتاريخ ١٩٤٨/٣/١٨ على مقربة من مستعمرة «كريات موتسكين». وقيل إن ضابطاً بريطانياً هو الذي نقل أخبار هذه القافلة إلى الصهيونيين فجهزوا لها كميناً قوياً وتمكنوا من تفجير إحدى العربات وقتل عدد من المناضلين في حين تمكنت عربتان تنقلان السلاح والذخيرة من التملص والعودة.

أثر حادث استشهاد قائد الدفاع عن حيفا في معنويات سكانها العرب، ولكن اللجنة الوطنية أسرعت بتكليف أمين عز الدين مهمة القيادة فوصل إلى حيفا يوم ١٩٤٨/٣/٢٧ ومعه حوالي ٤٠ مجاهداً.

وفي أواخر شهر آذار ١٩٤٨ نصب العرب كميناً لقافلة صهيونية متجهة نحو كيبوتس «يحيام» وقضوا عليها تماماً.

توالت الاشتباكات يومياً وزاد في إضرامها الحاكم البريطاني الذي كان يوعز إلى قواته، بداعي منع الصدام، ان تطلق النار على العرب تارة وعلى الصهيونيين تارة أخرى، موحياً بأن كل طرف يطلق على الآخر، مما كان يزيد الموقف توتراً. ومع اقتراب موعد جلاء القوات البريطانية عن حيفا وضع الجنرال ستوكويل



طريق حيفا ـ يافا في بداية القرن الحالي



حيفا في ثلاثينات القرن الحالي

القائد البريطاني خطة لحشدها في المرفأ وأبلغ الأهلين أنه لن يتدخل في المنازعات وأن كل همه هو تأمين تحرك قواته بسلام نحو الميناء. ورفض رفضاً قاطعاً الاستماع الى العرب عندما ذكّروه بأن الحكومة البريطانية هي المسؤولة عن الأمن حتى جلاء قواتها. بل إنه عندما شنّ الصهيونيون هجوماً قوياً على منازل العرب في ١٩٤٨/٤/١٩ عمل على منع وصول النجدات العربية من القرى المجاورة وصادر كل سلاح وجده بين أيدي العرب.

وفي يوم ١٩٤٨/٤/٢١ أبلغ الحاكم العسكري البريطاني المسؤولين العرب قراره الجلاء عن حيفا في حين كان قد أبلغ الجانب الصهيوني بذلك قبل أربعة أيام (٤/١٧). وكان هذا الإعلان إشارة البدء للقوات الصهيونية لتطبيق الخطة التي وضعتها منذ مدة للاستيلاء على حيفا بكاملها واطلقت عليها اسم «مسبارايم» (المقص). وتتلخص فكرتها على تمزيق الحي العربي إلى ثلاثة أقسام توطئة لاحتلاله وفقاً للاسلوب التالي:

١ ـ تقوم سرية من اللواء «كارميللي» (هاغاناه) باقتحام وادي رشمية شمالي شرق المدينة وإقامة رأس جسر على جانبه الأخر.

٢ ـ تهبط قوة كبيرة من «هدارا هاكرمل» متجهة مباشرة نحو الحي العربي القريب من الميناء.

٣ ـ تنطلق قوة ثالثة من الحي التجاري الملاصق للميناء فتلتقي القوة الثانية الهابطة من «هدارا هاكرمل» لتضغطا معاً على الحي العربي من الطرفين.

وقد ذكر نبتانيبل لورش في كتابه «حرب الاستقلال الإسرائيلية» أن أفراد هذه القوة الثالثة كانوا قد وضعوا سابقاً في المنطقة على أساس أنهم عمال زراعة وأخفوا أسلحتهم لاستخدامها عند تنفيذ الخطة.

ومع فجر يوم ١٩٤٨/٤/٢٢ اندفعت سرية من اللواء كارميللي بشكل مفاجىء، وعبرت جسر وادي رشمية طبقاً للخطة وتمكنت بعد معركة ضارية جداً من الوصول إلى بيت النجادة، وهو بناء حجري مشرف على الوادي، وتمركزت فيه وأخذت تطلق النار على المجاهدين الذين أسرعوا من مختلف الجهات وطوقوا هذه القوة وأصلوها نيراناً حامية أدت إلى مقتل الكثير من القوة الصهيونية فاستنجدت هذه عبثاً بقيادتها التي حاولت فك الحصار دافعة بعض الدبابات

المصفحة، ولكن العرب كانوا لها بالمرصاد. وبقيت السرية مطوّقة طوال اليوم، وإن كانت قد أدت إلى جذب العديد من المناضلين نحوها مما سهل عمليات القوة الرئيسة من اللواء كارميللي التي اندفعت مساء اليوم نفسه. وتمكنت بعد قتال من منزل إلى منزل من الوصول إلى أهدافها والالتقاء بالقوة الثالثة. وما إن انبلج صباح يوم ١٩٤٨/٤/٢٣ حتى كان الحي العربي قد تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام وبدأت قوات كارميللي تهاجم كل قسم على حدة، ناسفة كل منزل تصدر عنه أية مقاومة، مدمرة إياه على ساكنيه.

عند ذلك تدخّل الجنرال ستوكويل، بعد أن تأكد من سيطرة القوات الصهيونية على المدينة، وبعد أن بذلت قواته كل جهودها لمنع وصول النجدات العربية، ولا سيما مناضلي الطيرة التي وصل منها حوالي ٣٠٠ مناضل إلى مشارف حيفا، تدخّل وطلب من الطرفين عقد هدنة بينهما.

وعندما اجتمع الطرفان لدى الحاكم العسكري البريطاني أبلغ هذا الأخير الجانب العربي أنه لن يسمح للقوات العربية المسلحة بدخول المدينة، وأنه على استعداد فقط للتوسط بينهم وبين الصهيونيين على أن يقبلوا الهدنة، وقدم لهم شروط الجانب الصهيوني وهي عشرة، تتلخص بتسليم العرب كامل اسلحتهم وعتادهم خلال ثلاث ساعات، وإزالة جميع الحواجز في الطرق وتسليم إدارة المدينة للسلطات الصهيونية التي تفرض منع التجول وتقوم خلاله بتفتيش المنازل بحثاً عن السلاح غير المسلّم. فطلب الجانب العربي مهلة للتشاور حول هذه الشروط. وعند مغادرة الجنرال البريطاني دار البلدية قال إنه لن يكون مسؤولاً عن ذبح العرب إذا لم توقّع تلك الشروط حتى الساعة السادسة والنصف مساء.

وبعد التشاور قرر العرب بالإجماع رفض هذه الشروط وفضلوا إخلاء المدينة على تسليم أسلحتهم لاقتناعهم بأنهم سيتعرضون للمذابح إذا سلّموا السلطات الصهيونية سلاحهم.

عمد الصهيونيون فور سيطرتهم على المدينة إلى قلب مساجدها

إسطبلات، ونزعوا شواهد القبور الرخامية ليستخدموها في عمليات البناء، وألقوا جثث الشهداء على الأرصفة إشاعة للرعب في نفوس من بقي من العرب في حيفا وفي سواها من المدن والقرى العربية. وهكذا غادر المدينة حوالي ٧٠ ألف عربي وتوزعوا على البلدان المجاورة.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية

حبت الطبيعة مدينة حيفا من خلال موقعها وموضعها، معطيات طبيعية ممتازة، تجلت في ظاهرة التوجيه الجغرافي التي ترتبت على هذه المعطيات، فجودة التربة، وتوفر الأمطار ومصادر المياه، أدت إلى نشاط الزراعة في المنطقة. كذلك كان لموقع المدينة على مفترق طرق الشمال والجنوب، والشرق والغرب، دور كبير في نشاط الحركة التجارية والصناعية، وقطاع الخدمات في المدينة. إضافة إلى وجود الميناء بخصائصه المميزة، واتساع ظهيره، قد أديا إلى تطور الحياة الاقتصادية في المدينة. وبالتالي فليس غريباً أن تكون لهذه المدينة نشاطات اقتصادية متعددة، كالزراعة والصناعة والتجارة والخدمات.

أولاً: الزراعة في حيفا

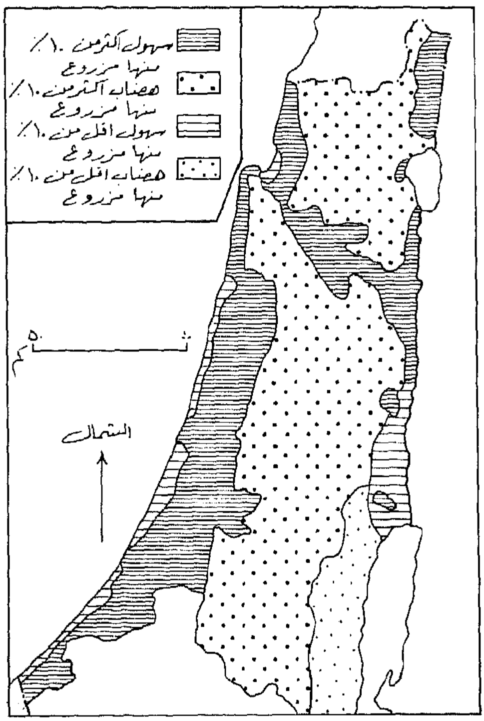
تقع حيفا في السهل الساحلي الفلسطيني الغني بمصادر المياه وبالتربة الجيدة الخصبة، وإذا أضفنا إلى ذلك توافر الأيدي العاملة في المنطقة، والكثافة العالية، فإننا نستطيع القول بأن الزراعة في المنطقة تعتبر إحدى أهم الحرف التي يمتهنها السكان. وقد بلغت مساحة الأراضي الزراعية في قضاء حيفا حوالي (٢٦٦, ٥٩٢) دونماً تشكل حوالي ٥٥٪ من مساحة القضاء[1] وتزرع هذه المساحة عادة بمحاصيل مختلفة أهمها:

---

١ ـ Hadawi p. 37، مرجع سابق.

١ ـ المحاصيل الحقلية: مثل القمح والشعير والعدس والكرسنة والفول. ويلاحظه تذبذب انتاج هذه المحاصيل من عام لآخر، نظراً لاعتمادها على مياه الأمطار، والجدول التالي يظهر كميات الإنتاج في سنوات مختلفة:

	الانتاج ١٩٣٩/ بالطن	الانتاج ١٩٤٣/ بالطن[٢]
القمح	٩١٦٣	٥٠٧٦
الشعير	٥٢٧٣	٥٨٥٦
العدس	٢٣٩	٦٢٠



الاقاليم الزراعية في فلسطين
(غلاب: ١٩٧٣)

٢ ـ الدباغ، ص ٤٧٩، مرجع سابق.

مع ملاحظة أن الانتاج هنا يشمل إنتاج القرى العربية والمستعمرات اليهودية، إلى جانب أن الانتاج يتركز في مناطق السهول الوسطى والجنوبية وبعض الأجزاء الشمالية.

٢ - الحمضيات: وتعتبر من المحاصيل الهامة التي ينتجها قضاء حيفا، خاصة وأن المناخ المتوسطي قد ساعد على ذلك. فقد بلغ عدد الدونمات المغروسة بالحمضيات عام ١٩٤٥ حوالي (١٨٩٠٤) دونمات منها (١٨٤٧٥) دونماً يمتلكها اليهود[٣].

٣ - الخضراوات: وتعتبر إحدى أهم المحاصيل التي يعمل السكان على زراعتها، وقد بلغ الإنتاج منها نسبة ١٩٣٩ حوالي (١٠٨٣٩) طناً، يشكل الإنتاج اليهودي ما نسبته ٣٠٪ من كمية الانتاج الكلي، وقد ازداد الإنتاج في السنوات اللاحقة، خاصة بعد أن بُديء بزراعة الخضراوات الصيفية المروية، حيث وصل عام ١٩٤٥ إلى قرابة (٢٣٣٧٠) طناً انتجت المستعمرات اليهودية ما نسبته ٣٨٪ من مجموع الإنتاج الكلي، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن معظم الإنتاج يتركز في المناطق الوسطى وبعض الأجزاء الساحلية من القضاء..

٤ - الأشجار المثمرة: كالعنب والزيتون واللوزيات والتين، وتسود زراعتها في مرتفعات الكرمل وسفوحه، وقد بلغ إنتاج الزيتون عام ١٩٣٩ حوالي (١٩٨٧) طناً، ووصل عام ١٩٤٥ إلى حوالي (٤٤٥٠) طناً، انتجت المستعمرات اليهودية ما يعادل ٨٪ من مجموع الإنتاج الكلي.

أما الثروة الحيوانية فتنتشر تربتها في جميع أنحاء قضاء حيفا، وتتعدد الأصناف التي يقوم السكان بتر بيتها تبعاً للغرض من ذلك، وقد بلغت أعداد الحيوانات كالتالي:[٤]

---

٣ - الدباغ، ص ٤٧٩.

٤ - الدباغ، ص ٤٨٠.

	١٩٣٧	١٩٤٣
الخيول	٢٩٠٧	٢٧٤٣
الجمال	١٧٨٢	٨٢٦
البقر	١١٣	٢٥٩٧٤
الضأن	١٢٣٦٥	٣١٤١٢
الدجاج	٢٤٥٢٨٢٨	١٨٧٥٨٧

مع ملاحظة أن تربية الحيوانات، كانت تقوم جنباً إلى جنب مع الزراعة، وكانت الحيوانات تستغل في أداء بعض الأعمال الزراعية كالنقل والحراثة.

أما بالنسبة للثروة السمكية، فيعتبر الساحل الفلسطيني من أهم مناطق البحر المتوسط، الغنية بثروتها السمكية، والتي يعمل السكان على اصطيادها وبيعها في الأسواق المحلية والخارجية. وهنا لا بد من القول بأن مهنة الصيد محصورة بسكان الساحل، خاصة قرى الطنطورة وعتليت، ويعتبر الإنتاج السمكي في حيفا كبيراً. إذا ما قورن مع انتاج المدن الساحلية الأخرى، وإذا ما قيس بعائداته المادية. والجدول التالي يبين إنتاج حيفا من الأسماك، وقيمتها بالجنيه الفلسطيني[٥]:

	الانتاج	القيمة بالجنيه الفلسطيني
١٩٢٣	١٣١	١٦٧٤٥
١٩٣٣	٤٢٢	١٧٣٢٩
١٩٤٤	٥٥٦	١٣٨٧٤٠

٥ ـ الدباغ، ص ٥١٨.

ثانياً: الوظيفة الصناعية:

بدأت حيفا تعيش نهضة صناعية منذ الثلاثينات حين أقامت إدارة المعارف في المدينة عام ١٩٣٦ مدرسة صناعية تعلّم عدداً من الحرف الفنّية كالتجارة والبرادة والحدادة وإصلاح السيّارات وغيرها. وقد تخرجت من هذه المدرسة مجموعات صناعية خبيرة، وبلغ عدد طلبتها عام ١٩٤٦/٤٥ نحو ٦٩ طالباً.

وأنشئت في حيفا النقابات والجمعيات التعاونية التي ضمّت أصحاب المهن. وقد استوعبت مصفاة شركة التكرير المتحدة كثيراً من العمّال. وعمل آلاف العمّال في قطاع النقل والمواصلات، ولا سيما في أعمال الميناء والسكك الحديدية والشاحنات[٥].

تعتبر حيفا حالياً ثاني مركز صناعي في فلسطين بعد تل أبيب، وبالتالي فإن الوظيفة الصناعية للمدينة، هي أهم وظائفها، حيث بلغت نسبة المشتغلين بالصناعة ٢٥٪ من مجموع القوى العاملة في المدينة، إلى جانب ١٣٪ يعملون في قطاع المواصلات. ويعمل ٣٥٪ من القوى العاملة في قطاع الخدمات، وما يعادل ٢٧٪ يعملون في قطاع الزراعة[٦]. ويغلب طابع الصناعات الثقيلة على النشاط الصناعي في المدينة، وذلك بسبب وجود الميناء حيث تكون عملية نقل المواد الخام ذات كلفة قليلة نظراً لقرب الميناء.

ومن أشهر الصناعات في حيفا ما يلي:

١ ـ الصناعات البترولية والكيماوية:

تنتشر معظم هذه الصناعات حول مصفاة تكرير البترول، في الجزء الشرقي من المدينة، وأهم هذه الصناعات صناعة الإسمنت والمطاط والبلاستيك والصابون وصناعة تكرير النفط.

٢ ـ الصناعات الفولاذية: وتتمثل في مصنع الفولاذ الواقع في الجزء الشمالي من المدينة.

٣ ـ صناعة الورق: حيث تنتج مصانع منطقة حيفا ٨٠٪ من الإنتاج الكلي لفلسطين المحتلة من هذه المادة.

---

٦ ـ جميس هدسون، «جغرافية فلسطين المحتلة»، بيروت ١٩٦٥ ص ٣.



خليج حيفا ومصفاة نفط العراق

٤ ـ صناعة الأغذية: وتنتج مصانع حيفا ١٩٪ من مجموع الصناعات الغذائية في فلسطين المحتلة.

٥ ـ صناعة معدات النقل وتتمثل في صناعة بناء السفن ومصنعين للسيارات.

٦ ـ هناك صناعات أخرى: بعضها يمارس على نطاق واسع، وبعضها الآخر على نطاق محدود. وأهمها: صناعة المنسوجات وصناعة المنتوجات الخشبية.

هذا وقد بلغ عدد المؤسسات الصناعية في المدينة (٧٣٣) مؤسسة عام ١٩٧٨[٧]، تمثل قرابة ١١,٤٪ من مجموع المؤسسات الصناعية في فلسطين المحتلة، بينما بلغ عدد العاملين في هذه المؤسسات (٣٩٠٣٣) أي بنسبة ١٥,١٪ من مجموع الأيدي العاملة الصناعية في فلسطين المحتلة.

ثالثاً: المواصلات:

تعتبر مدينة حيفا إحدى أهم مدن المواصلات في فلسطين، وذلك نظراً لموقعها على مفترق طرق برية تربط معظم أنحاء البلاد مع البعض الآخر.

وأهم طرق المواصلات البرية في منطقة حيفا هي:

١ - طريق الساحل الفلسطيني الذي يخترق فلسطين من الشمال إلى الجنوب، ويمر في مدينة حيفا.
٢ - طريق حيفا طبريا مروراً بالناصرة.
٣ - طريق حيفا جنين مروراً بـ (أبو شوشة).
٤ - طريق حيفا طولكرم (٤٣ كم).
٥ - يافا تل أبيب حيفا، بطول ٩٦ كم مروراً بناتانيا فالخضيرة فزفرون يعقوب.
٦ - حيفا - العفولة (٤٦ كم) مروراً بمصنع نيشر للإسمنت، فالياجور.
٧ - حيفا - العفولة (٤٤ كم) مروراً بسيد يعقوب وكفار جدعون.
٨ - حيفا - شفا عمرو (٢٧ كم) مروراً بكفار حاسيديم، قربان بنيامين.
٩ - حيفا - الناصرة (٣٨ كم) مروراً بمجدال وشمرون.
١٠ - حيفا - عكا (٢٠ كم) مروراً بقريات بيالك.

أما خطوط سكة الحديد فأهمها:



مصنع نشير للأسمنت (Brown 1980)

١ ـ القدس ـ اللد ـ حيفا ١٧٩ كم مروراً بالرملة فالخضيرة فعتليت ثم حيفا.

٢ ـ يافا ـ تل أبيب ـ حيفا (٩٣ كم) مروراً بناتانيا فالخضيرة ـ فعتليت إلى حيفا.

٣ ـ حيفا ـ نهاريا (٢٩ كم).

٤ ـ حيفا ـ سمخ (٩٦ كم) مروراً بالعفولة، بيسان جسر المجامع ثم سمخ ـ ثم الأراضي السورية.

أما مطار حيفا فيقع شمال المجرى الأدنى لنهر المقطع، في القسم الجنوبي من خليج عكا، إلى الغرب من خط سكة الحديد الواصل بين عكا وحيفا. ولقد بلغ عدد الطائرات التي هبطت في المطار عام ١٩٤٧ حوالي ٩٦٧ طائرة(٧).

رابعاً: الوظيفة التجارية:

ارتبطت الوظيفة التجارية بأهمية الموقع الجغرافي لحيفا بالنسبة إلى إقليمها الخاص، أو الأقاليم البعيدة وتتصل المدينة بها حولها بأكثر من وسيلة للمواصلات،



خليج حيفا من جبل الكرمل



منظر من خليج حيفا

٧ ـ الدباغ، ص ٥٣٠.

وترتبط شبكة شوارعها الداخلية المنظمة بشبكة الطرق والسكك الحديدية الخارجية. ويظهر أثر ذلك في زيادة حركة ميناء حيفا وازدهار الحركة التجارية للمدينة. وقد ساهم فرع خط سكة حديد الحجاز دمشق ـ حيفا في إجراء تحسينات كبيرة في الميناء فدخلت حيفا في عهد جديد وأصبح ميناؤها وسيلة لنقل البضائع المستوردة من الخارج إلى كثير من أجزاء فلسطين والأردن وسورية. وكذلك ساهم الميناء في تصدير كثير من منتجات فلسطين والأقطار العربية المجاورة، كالحمضيات، والقمح والنفط إلى الخارج.

بدأت السلطات البريطانية في عام ١٩٢٩ توسيع ميناء حيفا الصغير الذي أنشأه العثمانيون سنة ١٩٠٨. وتحويله ميناء حديثاً، واقامت فيه المنشآت الضخمة، وجهّزته بالوسائل الحديثة. وقد أنشيء حاجزان لصدّ الأمواج، وبلغ طول الرصيف الأساسي ٤٠٠م، وعمق غوره ٩م، وشيّد رصيف خاص ترسو بقربه ناقلات النفط. وافتتح الميناء رسمياً في ١٩٣٣/١٠/٣١. وبلغت نفقة إنشائه ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني. وقد أصبح ميناء حيفا من أكبر موانيء البحر المتوسط (الثاني بعد مرسيليا)، وفاقت المدينة يافا في التجارة، وبلغ وزن البضائع التي شحنت من ميناء حيفا سنة ١٩٣٧ ضعفي ما شحن من يافا، ووزن ما أفرغ في حيفا في العام نفسه خمسة أضعاف ما أفرغ في ميناء يافا.

ويتصدر ميناء حيفا جميع الموانيء الفلسطينية لأهمية موقعه وموضعه من جهة، ولكثافة الحركة التجارية المرتفعة فيه، ففي عام ١٩٣٦ مثلاً استورد عن طريق ميناء حيفا ٧٥٦,٧٢٢ طناً من البضائع مقابل ١,١٦٤,٠٢٨ طناً من الصادرات، وتدر الواردات والصادرات على الميناء عائدات كبيرة وصلت قيمتها في عام ١٩٣٩ إلى نحو ٧,٨ مليون جنيه فلسطيني من الواردات ونحو ٢,٩ مليون جنيه فلسطيني من الصادرات. ويعجّ الميناء بحركة دائبة للسفن التجارية. وقد وصل أعلى رقم لعدد السفن الداخلة إلى الميناء في عام ١٩٤٢ نحو ٨,٠٠٠ سفينة ومثل هذا العدد للسفن الخارجة منه وبلغ مجموع حمولة كل من الداخلة والخارجة ١,٤ مليون طن.

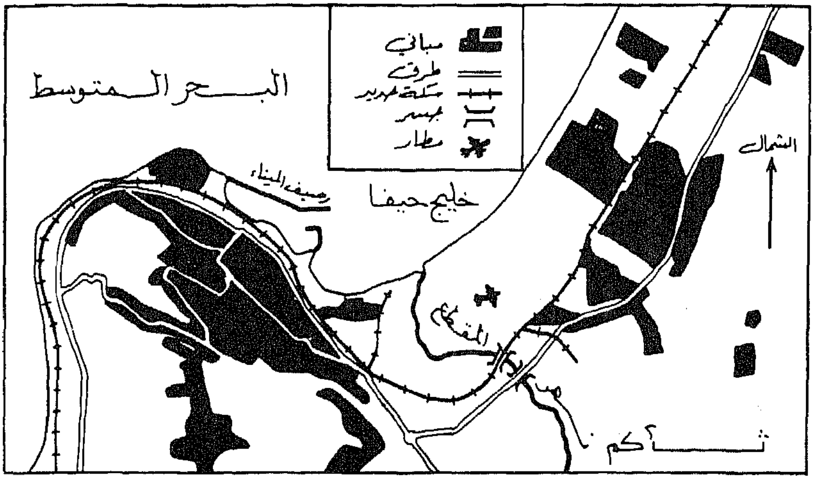
جذبت حيفا التجار من بعض المدن الفلسطينية والسورية والمصرية للعمل فيها. وشيّدت المحلات التجارية التي تزين الشوارع الرئيسة والساحات الكبرى



ميناء حيفا 1980 Brown

في المدينة، مثل شوارع اللنبي وستانتون واللورد بلومر، وساحة الخمرة وساحة الجرينة. وأقيمت الأسواق التجارية التي تعرض فيها مختلف السلع السوق الأبيض وسوق الشوام وغيرهما. وكانت أسواق حيفا ملتقى كثير من سكان القرى العربية المحيطة بالمدينة يعرضون فيها منتجاتهم ويشترون ما يلزمهم منها. وتغيّر الوضع بعد عام ١٩٤٨ فأصبحت حيفا مركزاً تسويقياً للمستعمرات الصهيونية المجاورة.

قامت (اسرائيل) بعد عام ١٩٤٨ بتطوير ميناء حيفا، فتضاعف عدد الأرصفة والمنشآت فيه، وغدت المخازن تستوعب ٧٥,٠٠٠ طن وفي عام ١٩٥٤ أنشيء ميناء آخر متمم لميناء حيفا عند مصب نهر المقطع. وقد أجريت عليه تحسينات فأصبح يضم في عام ١٩٦٤ حوضاً لبناء وإصلاح السفن، ورصيفاً عائماً، ومرسى لسفن الصيد. ومنذ أن منعت سلطات الاحتلال البواخر التجارية من الرسوّ في ميناء يافا عام ١٩٦٥ أصبح ميناء حيفا أكبر موانىء الأرض المحتلة. وزادت حركة العمل فيه فأصبحت تعادل نحو ٥٦٪ من مجموع حركة العمل في الموانىء.



ميناء حيفا

بلغ مجموع السفن التي دخلت ميناء حيفا عام ١٩٥١ ـ عدا ناقلات النفط ـ ١,١٦٨ سفينة، في حين كان مجموع السفن التي دخلت موانىء فلسطين المحتلة تلك السنة ١,٣٧٠ سفينة. وفي عام ١٩٦٧ دخلت هذه الموانىء ٢,٣٧٢ سفينة منها ١,٥٤٥ سفينة دخلت ميناء حيفا. وفي عام ١٩٦٥ سجّل ميناء حيفا رقماً قياسياً في عدد المسافرين عن طريقه إذ وصل إلى نحو ربع مليون مسافر(٨).

لقد أثرت المقاطعة العربية على علاقات حيفا التجارية، فمثلاً تحولت التجارة الخاصة بالظهير غير الاسرائيلي إلى موانيء أخرى مثل ميناء بيروت. وتحول جزء كبير من التجارة الإسرائيلية إلى ميناء إيلات، نتيجة منع السفن الإسرائيلية من دخول قناة السويس، ورغم كل ذلك، فإن ميناء حيفا ما زال ميناء فلسطين الأول، وما زال يعتبر أحد أهم موانيء الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

ونظراً لأهمية حيفا كميناء ساحلي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، فقد تم ربطها مع غيرها من المدن ومنابع النفط بمجموعة من أنابيب النفط والغاز، حيث يتم عن طريق هذا الميناء استيراد وتصدير النفط الخام. ونتيجة لذلك أنشئت في المدينة محطة لتكرير النفط الخام، وانتاج مشتقاته

---

٨ ـ الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق.

المختلفة، والتي يتم توزيعها على مدن فلسطين الأخرى، بوسائل مختلفة أهمها الأنابيب، وأشهر خطوط الأنابيب هي :

١ ـ خط أنابيب النفط العراقي (كركوك ـ حيفا) وقد أوقف العمل بهذا الخط بعد سقوط مدينة حيفا في أيدي الغزاة الصهاينة عام ١٩٤٨.

٢ ـ خط أنابيب إيلات ـ حيفا ويبلغ طوله ٤١١ كم وقطره ١٦ بوصة، وينقل البترول المستورد لإسرائيل من ميناء إيلات إلى معامل التكرير في حيفا. وتقدر طاقته بحوالي (٧٤) ألف برميل يومياً.

٣ ـ خط أنابيب حيفا ـ تل أبيب، ويزود هذا الخط تل أبيب بمشتقات النفط من محطة تكرير حيفا، ويبلغ طوله ٩٣ كم وقطره ٨ بوصة وطاقته (١١٤٠) برميل يومياً.

خامساً: الوظيفة الإدارية :

أصبحت حيفا مركزاً لقضاء حيفا منذ أواخر القرن التاسع عشر عندما تمّ تعيين «قائمقام» للقضاء وتألف قضاء حيفا عام ١٨٩٩م من مدينة حيفا وناحية قيسارية و٦٢ قرية. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى كان قضاء حيفا يتألف من ٣ نواح و٨٤ قرية. وفي عام ١٩٤٥ ضمّ القضاء ٥٢ قرية و١٤ عشيرة. بلغت مساحة القضاء آنذاك ١,٠٣١ كم^2 امتلك الصهيونيون منها ٣٦٤ كم^2، أي ٣٥,٣٪ من مجموع مساحة القضاء. وبلغ مجموع سكان القضاء ٢٢٤,٦٣٠ نسمة، منهم ١٠٤,٥١٠ صهيونيين، أي أن نسبة الصهيونيين في أواخر عهد الانتداب كانت ٤٦,٥٪ من مجموع سكان القضاء. وقد احتفظت حيفا بعد الاحتلال الصهيوني بمكانتها كمركز إداري لمقاطعة حيفا[٩].

---

٩ ـ الموسوعة الفلسطينية،

الفصل الخامس

الحياة الثقافية والأدبية
والمعالم الأثرية والسياحية

أولاً : المدارس في العهد العثماني :

بلغ عدد المدارس في حيفا عام ١٨٧٠ ثلاث مدارس هي :

١ - مدرسة الحي الشرقي وهي مدرسة عربية .

٢ - مدرسة الرشيدية .

٣ - مدرسة يهودية .

وفي عام ١٩٠١ بلغ عدد المدارس الأجنبية خمس مدارس وهي :

١ - ثلاث مدارس ألمانية .

٢ - مدرستان فرنسيتان هما الفرير والراهبات .

وفي عام ١٩٠٣ بلغ عدد المدارس الأجنبية ثماني مدارس وهي :

المدارس الفرنسية وعددها أربع وهي :

الفرير .

راهبات المحبة .

راهبات الناصرة .

المدرسة اليهودية .

المدارس الإنجليزية وعددها إثنتان ، ومدرسة المانية ، ومدرسة روسية .

ثانياً: المدارس في عهد الانتداب البريطاني:

بلغ عدد المدارس الحكومية في هذه الفترة ثلاث مدارس هي:

١ ـ مدرسة ثانوية للبنين.
٢ ـ مدرسة إبتدائية للإناث.
٣ ـ مدرسة حيفا الصناعية.

وقد كان في حيفا إلى جانب المدارس الحكومية، عدد من المدارس الخاصة. الإسلامية والمسيحية، وبلغ عددها عشرين مدرسة خاصة.

المكتبات في حيفا:

لم تعرف حيفا المكتبات العامة قبل عام ١٩١٤م، حيث تأسس في هذا العام أول مكتبة عامة فيها باسم المكتبة الجامعة، وتغير اسمها فيما بعد ليصبح المكتبة الوطنية، وقد كانت هذه المكتبة تعنى ببيع الكتب العلمية والتاريخية والأدبية.. الخ. كما أخذت هذه المكتبة تصدر مجلة خاصة بها هي مجلة الزهرة.

الجمعيات والنوادي:

وهي كثيرة ومتعدد أهمها وأشهرها:

١ ـ الجمعية الاسلامية.
٢ ـ الجمعية المسيحية.
٣ ـ جمعية الشبيبة المسيحية وتقتصر على النشاطات الأدبية.
٤ ـ جمعية السيدات وهي مسيحية.
٥ ـ جمعية تهذيب الفتاة (إسلامية).
٦ ـ جمعية النهضة الإقتصادية.
٧ ـ نادي موظفي السكة الحديدية.
٨ ـ النادي الكاثوليكي.

المطابع :

بلغ عدد المطابع في حيفا ثماني مطابع أربع لليهود وأربع للعرب وأهم هذه المطابع هي :

١ ـ المطبعة العمومية .

٢ ـ مطبعة جريدة الكرمل .

٣ ـ مطبعة جريدة النفير .

الصحف[1]

لم تقتصر دور مدينة حيفا على كونها مركزاً صناعياً وتجارياً كبيراً، بل كانت في الوقت نفسه مركزاً ثقافياً ومنبراً حراً للرأي ، تمثل في مجموعة كبيرة من الصحف والمجلات التي كانت تصدر في المدينة والتي أهمها :

١ ـ جريدة الكرمل : جريدة أسبوعية ، أسسها نجيب نصار عام ١٩٠٩ ، توقفت عن الصدور خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، وعادت للصدور مرة أخرى عام ١٩٢٠ ، واستمرت لغاية سنة ١٩٤٠ ، حيث أصدرت السلطات الصهيونية أمراً بإيقاف صدورها نظراً لدورها الكبير في كشف النوايا والمطامع الصهيونية وتوعية الشعب العربي وتحذيره من المخططات الاستعمارية والصهيونية .

٢ ـ جريدة النفير : أسسها إيليا زكا عام ١٩١١ وكانت جريدة نصف أسبوعية توقف صدورها مع بدء الحرب العالمية الأولى .

٣ ـ جريدة الطبل : أسبوعية أسسها إبراهيم محمد عبد الكريم عام ١٩١٩ .

٤ ـ جريدة السلام : عربية يهودية أسبوعية أسسها اليهودي نسيم ملول .

٥ ـ مجلة الزهرة : نصف شهرية أسسها جميل البحري عام ١٩٢١ .

٦ ـ مجلة النفائس : مجلة أدبية أسسها خليل بيدس عام ١٩١٨ صدرت لمدة عامين في حيفا ثم انتقلت إلى القدس .

٧ ـ جريدة جراب الكردي : أسسها جميل رمضان عام ١٩٠٨ صدرت لعدة

---

١ ـ البحري ، ص ٣١ .

سنوات في حيفا ثم انتقلت إلى الشام.

٨ ـ جرائد العصا، الصاعقة، المحبة: وقد صدرت فترة قصيرة من الزمن ثم توقفت عن الصدور.

وحديثاً ظهرت مجموعة من الصحف والمجلات التي تصدر في المدينة وأهمها:

١ ـ جريدة الاتحاد: الناطق الرسمي لحزب ركاح.

٢ ـ مجلة الجديد: وهي مجلة شهرية أدبية.

٣ ـ مجلة الغد: شهرية خاصة للشباب.

٤ ـ مجلة الدرب.

ومن الصحف والمجلات التي صدرت في حيفا: حيفا، الأردن، اليرموك، الزهور، النهضة، آخر ساعة، البشري، كشاف الصحراء، السمير، الرابطة، المهماز، تايمز أوف بالاستين، بالاستين ذي ميل[٢].

المعالم الدينية والتاريخية والسياحية

تحتوي حيفا على مجموعة من المعالم الدينية والتاريخية والسياحية، التي تشجع السياح على زيارة المدينة. فقد بلغ عدد الكنائس في العقد الرابع من القرن الحالي ستة كنائس، مقابل خمسة مساجد وتكايا، إلى جانب وجود ثمانية فنادق وثلاثة حمامات عامة وتسعة خانات[٣].

وحيفا مدينة جميلة، تحتوي على مجموعة من المعالم السياحية والأبنية الضخم مثل دير الفرنسيسكان، ودير وكنيسة الآباء الكرمليين، ودير دام دونازارت، ونزل الكرمل والجامع الشريف، والمحطة وبرج الساعة إلى جانب وجود مجموعة من المتاحف أهمها:

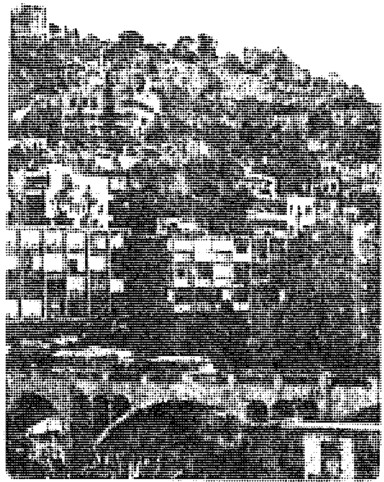
١ ـ متحف الفن الحديث.

٢ ـ بيت الفنانين.

---

٢ ـ أحمد خليل العقاد، تاريخ الصحافة العربية في فلسطين.

٣ ـ الدباغ، ص ٤٩٥.



جبل الكرمل في حيفا



دير مريم على قمة الكرمل

٣ ـ المتحف الانثولوجي .

٤ ـ متحف الفن الياباني .

٥ ـ المتحف البحري .

٦ ـ المتحف البلدي .

٧ ـ متحف الطبيعية .

٨ ـ متحف الفلكلور.

٩ ـ المتحف الموسيقي .

ووجود مجموعة من المنتزهات والحدائق العامة وأهمها :

١ ـ منتزه جان بنيامين .

٢ ـ حديقة التكنيون .

٣ ـ منتزه جان هزكرون .

٤ ـ حديقة جان حاييم .

٥ ـ الحدائق الفارسية .

٦ ـ حديقة حيوانات .

إلى جانب وجود أعداد كبيرة من الفنادق والاستراحات .

أما المناطق الأثرية والتاريخية في حيفا فأهمها:

١ - حيفا المدينة وتحتوي على منحوتات صخرية ومقابر أثرية.

٢ - تل السمك في الجزء الغربي من حيفا وعلى الساحل، وتحتوي على أرضيات فسيفسائية ومنحوتات صخرية رومانية ومقابر منحوتة في الصخر.

٣ - شيقومونا غرب مدينة حيفا وتحتوي على مقابر صخرية وأرضيات من الفسيفساء.

٤ - مدرسة الأنبياء وهي قريبة من الفنار، وعبارةعن بناء اسلامي قديم يضم مسجداً ومغارة. قيل أن النبيين الياس ويشع علّما فيها تلاميذهما قواعد الدين الحقيقي. وتحتوي المغارة على آثار يونانية. وهي مكان يقدسه أتباع الطوائف الدينية الثلاث الإسلامية والمسيحية واليهودية.

٥ - مار الياس وهي عبارة عن كنيسة منحوتة في الصخر بالقرب من مدرسة الأنبياء.

٦ - قرية رشمية وفيها بقايا قلعة قديمة بناها الفرنجة وتحتوي على بقايا أبراج ومقابر.

وأهم كنيسة في حيفا، مزارمريم العذراء، سيدة الكرمل، القائم على جبل الكرمل.

قيسارية[٤]

قرية عربية تقع على بعد ٤٢ كم الى الجنوب الغربي من حيفا. وهي من المدن الفلسطينية ذات التاريخ العريق. وأول من بناها الكنعانيون (الفينيقيون) وأسموها «برج ستراتون». وستراتون تحريف للاسم الفينيقي «عبد عشتروت». ولما جدد هيرودوس الكبير بناءها عام ١٠ ق.م. اسماها «قيصرية» نسبة الى القيصر الروماني أوغسطس. وكانت قيسارية من المدن المزدهرة في العهد الروماني إذ كانت مقراً للأسطول الحربي الروماني في سورية. واشتهرت بنسج الحرير وصبغة الأرجوان، وضمت مدرسة للحقوق وأخرى للاهوت وكان المؤرخ

---

٤ - الموسوعة الفلسطينية الجزء الثالث.





آثار في قيسارية

الفلسطيني يوسابيوس Eusebius مطراناً لها. وحدث فيها زلزال في النصف الأول من القرن السادس الميلادي. وفي عام ٦١٣ م احتلها الفرس بقيادة شهربراز، ولكن الرومان استرجعوها ثانية. وفي عام ١٣هـ/ ٦٣٤م حاصرها العرب المسلمون بقيادة عمرو بن العاص، ولكنها لم تفتح إلا في عام ١٩هـ/ ٦٤٠م على يد معاوية بن أبي سفيان وكانت آخر ما احتل من مدن الشام. وفي عام ٩٧٥م احتلها البيزنطيون وأخرجوا الفاطميين منها، ثم ما لبث الفاطميون أن استعادوها. وقد تداولها المسلمون والإفرنج بين عامي ١١٠١م - ١٢٦٥م فاحتلها الظاهر بيبرس بعد حصار وقتال شديدين وأمر بتدميرها وتدمير قلعتها. وبقيت قيسارية خربة حتى عام ١٨٧٨م عندما نزلها البشانقة (البوشناق)، وهم من مسلمي البوسنة والهرسك في يوغسلافيا، فعمروها وبدأت تنمو من جديد.

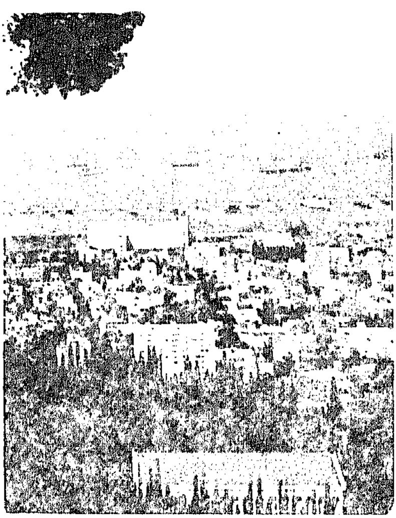
وينسب إلى قيسارية عبد الحميد الكاتب المتوفى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

أنشئت قيسارية الحديثة في السهل الساحلي الفلسطيني على شاطىء البحر المتوسط على ارتفاع قرابة ١٠م عن سطح البحر في منطقة تعد جزيرة بين الكثبان الرملية التي تحف بالشاطىء مسافة تراوح بين ١ و٢ كم تاركة نحو ١,٥كم هي

المنطقة التي تقع في وسطها البلدة. وتغطي الكثبان الرملية قسماً كبيراً من أراضيها الداخلية. وأما شاطىء البحر الواقع ضمن أراضيها فمتعرج وصخري من الطرف الشمالي لأراضيها حتى مسافة كيلومتر جنوبها ورملي فيما بقي.

تمتد القرية بصورة عامة مع امتداد الشاطىء من الشمال الى الجنوب. وفي عام ١٨٧٨م كان فيها ١٠٠ مسكن ارتفع عددها الى ١٤٣ مسكناً في عام ١٩٣١. ويدخل في هذا العدد مساكن عرب برّة قيسارية. وقد بنيت بيوت القرية من الحجارة والإسمنت أو الحجارة والطين، وأما بيوت عرب قيسارية فمعظمها خيام.

بلغت مساحة القرية عام ١٩٤٥ نحو ٢٧ دونماً، ومساحة أراضيها ٣١,٧٨٦ دونماً فكانت السادسة في قرى قضاء حيفا من حيث مساحة ما تملكه من أراضٍ. ولم يكن الصهيونيون يملكون سوى ٨٧٤ دونماً من أراضيها، أي ٢,٧٪ منها.





المسرح الروماني في قيسارية







آثار في قيسارية

عاش في قيسارية ٣٤٦ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢، وارتفع العدد إلى ٧٠٦ نسمات في عام ١٩٣١. ويدخل في هذا العدد عرب برّة قيسارية الذين كان عددهم ١٩٣ نسمة في عام ١٩٢٢. وفي عام ١٩٤٥ بلغ عدد سكانها ٩٦٠ نسمة.

كان في القرية مدرسة ابتدائية للبنين افتتحت منذ العهد العثماني. واستخدم السكان مياه الآبار في الشرب والأغراض المنزلية.

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة، وكان فيها ١٨ دونماً مزروعة برتقالاً عام ١٩٤٥.

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨، وكانوا قد أسسوا كيبوتز «سدوت يام» في عام ١٩٤٠ قرب أبو طنطور على بعد كيلومتر واحد إلى الجنوب من قيسارية. وقد بلغ عدد سكان هذا الكيبوتز ٥١٠ نسمات في عام ١٩٧٠.

وفي عام ٥١ ـ ١٩٥٢ أسس الصهيونيون أيضاً موشاف «أورعقيفاه» على بعد ٣ كم شرقي الشمال الشرقي من قيسارية، وهو الآن مدينة ضمت ٦,٣٥٠ نسمة في عام ١٩٧٠.

الفصل السادس

قضاء حيفا

تحدد قضـاء حيفـا في عهـد الدولة العثمانية بأن كان مركزه مدينة حيفا ويتبع ولاية دمشق.

وبلغت مسـاحـة القضـاء حوالي ٨٥٤ كم٢، منهـا ٥٩٢٢٦٦ دونـم أرض زراعية، بينما بلغت مساحة الأرض العمرانية حوالي ٢٣١,٨٠١ دونم[1].

بلغ عدد سكان القضاء عام ١٩٢٢ حوالي ٤٣٠٠٠ نسمة وبكثافة سكانية تراوحت بين ٥١ ـ ٥٧ نسمة/كم٢. وفي تعداد عام ١٩٣١ اصبح قضاء حيفا يحتل المرتبـة الثـالثـة بين أقضيـة فلسطـين من الناحية السكانية بعد أن كان يحتل المرتبة السـادسـة عام ١٩٢٢. وتراوحت الكثافة السكانية في القضاء في هذا التعداد بين ٥١ ـ ١٠٠ نسـمـة /كـم٢، وفي عام ١٩٤٢، وصـل عدد السكـان إلى حوالي (٢٢٥) ألف نسمة وبكثافة سكانية تراوحت بين ١٠١ ـ ١١٥ نسمة/ كم٢، وفي عام ١٩٨٢ بات سكان القضاء يمثلون ١٤,٢٪ من سكان فلسطين[2].

وقد لوحظ في التقديرات والتعدادات السكانية في الفترة ١٩٠٠ ـ ١٩٤٨، تزايد مضطرد في نسبة اليهود في القضاء، كما يتضح من الجدول التالي:

---

١ ـ Hdawi, p 37 .

٢ ـ حسن صالح «سكان فلسطين جغرافياً وديموغرافياً» عمان ١٩٨٥، صفحات مختلفة.

النسبة المئوية للسكان اليهود من مجموع السكان الكلي لقضاء حيفا[٣]

السنوات	
١٩١١	٣,٩٪
١٩١٦	٣,٦٪
١٩٢٢	١٥٪
١٩٣١	٢٥٪
١٩٤٥	٤٦,٥٪
١٩٧٢*	٩٣,٨٪
١٩٨٦*	٩١,٤٪

إن التزايد المتسارع في أعداد السكان اليهود، ناجم عن الهجرة المكثفة من اليهود الوافدين من الخارج بتنظيم من الوكالة اليهودية، منذ عهد الانتداب البريطاني، بهدف توطيد اليهود في فلسطين على حساب أصحاب الأرض الشرعيين من الفلسطينيين العرب.

التجمعات السكانية في قضاء حيفا:

يضم قضاء حيفا ١٨ عشيرة، ٥٢ قرية، ٩٠ مستعمرة. أما العشائر التي تقطن القضاء فهي[٤]:

١ ـ عشائر التركمان,

٢ ـ عشائر الزبيدات.

٣ ـ عشائر الفقرا.

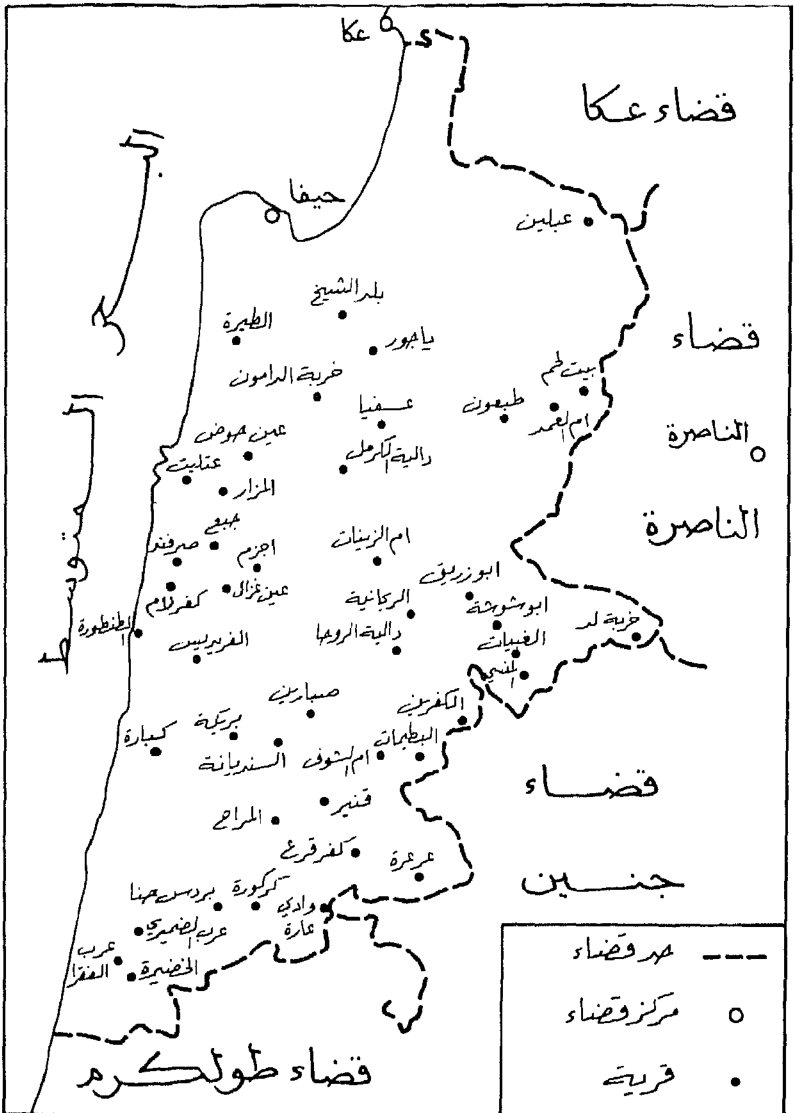
٤ ـ عشائر الكعيبة.

---

٣ ـ الدباغ، ص ٤٥٦.

* Statistishes, p.222 .

٤ ـ قسطنطين خمار «جغرافية فلسطين المصورة» بيروت، ١٩٦٧، ص ١٦٢.



قضاء حيفا (الدباغ : ١٩٧٤)

٥ ـ عشائر السواعيد .
٦ ـ عشائر الخوالد .
٧ ـ عشائر الزوايدة .
٨ ـ عشائر العلاقمة .
٩ ـ عشائر الصفاصفة .
١٠ ـ عشائر الحلف .
١١ ـ عشائر الغوارنة .
١٢ ـ عشائر النفيعات .
١٣ ـ عشائر الضيري .
١٤ ـ عشائر المنسي .
١٥ ـ عشائر العوادين .
١٦ ـ عشائر التواتهة .
١٧ ـ عشائر النعيم .
١٨ ـ عشائر العمرية .

أما القرى في القضاء فهي[٥]

١ ـ أبوزريق : جنوب شرق حيفا، تبلغ مساحة أراضيها حوالي ٤ , ٦ كم٢
٢ ـ أبو شوشة : جنوب شرق حيفا ومساحة اراضيها حوالي ٩ , ٨ كم٢
٣ ـ أجزم : جنوب حيفا ومساحة أراضيها حوالي ٩ , ٤٦ كم٢ .
٤ ـ عبلين : إلى الشرق من حيفا ومساحة أراضيها ٦ , ١٨ كم٢ .
٥ ـ أم الزينات : جنوب شرق حيفا على بعد ٢٧ كم ومساحة أراضيها ١ , ٢٢ كم٢ .
٦ ـ أم الشوف : جنوب شرق حيفا .
٧ ـ أم العمد : جنوب شرق حيفا على بعد ٢٣ كم .
٨ ـ البريكة : جنوب حيفا .
٩ ـ البطيحات : جنوب شرق حيفا .

---

٥ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «كشاف البلدان الفلسطينية» بيروت ١٩٧٣، ص ٢٠ .

١٠ ـ بلد الشيخ: جنوب شرق حيفا على بعد ٦ كم ومساحة أراضيها ٨, ٩ كم٢.

١١ ـ بنيامينا: على بعد ٤٢ كم جنوب حيفا.

١٢ ـ بيت لحم: على بعد ٢٥ كم جنوب شرق حيفا.

١٣ ـ باردس حنا: جنوب حيفا.

١٤ ـ جبع: جنوب حيفا وتقع ضمن أراضيها مستعمرة جبعة كرمل.

١٥ ـ الخبيزة: جنوب شرق حيفا.

١٦ ـ خربة الدامون: جنوب حيفا.

١٧ ـ خربة الكايد: جنوب شرق حيفا.

١٨ ـ خربة لد: جنوب شرق حيفا.

١٩ ـ دالية الروحاء: جنوب شرق حيفا.

٢٠ ـ دالية الكرمل: جنوب شرق حيفا ومساحة أراضيها ١, ٣ كم٢.

٢١ ـ رأس علي: جنوب شرق حيفا.

٢٢ ـ الريحانية: جنوب شرق حيفا.

٢٣ ـ سعسع: جنوب شرق حيفا.

٢٤ ـ السنديانة: جنوب شرق حيفا وتقع ضمن أراضي مستعمرة علونا.

٢٥ ـ شفا عمرو: إلى الشرق من حيفا تبلغ مساحة أراضيها حوالي ٢, ٩٧ كم٢.

٢٦ ـ صبارين: جنوب حيفا.

٢٧ ـ الصوفند: جنوب غرب حيفا بالقرب من الساحل.

٢٨ ـ طبعون: جنوب شرق حيفا.

٢٩ ـ الطنطورا: جنوب غرب حيفا وعلى الساحل مباشرة مساحة أراضيها ٥, ١٤ كم٢. تقع ضمن أراضيها مستعمرة نهاشوليم.

٣٠ ـ الطيرة: على مسيرة ١٢ كم جنوب غرب حيفا ومساحة أراضيها ٢, ٤٥ كم٢.

٣١ ـ عرعرة: جنوب شرق حيفا.

٣٢ ـ عارة: جنوب شرق حيفا.

٣٣ ـ عتليت: جنوب شرق حيفا.

٣٤ ـ عسقيا: على بعد ١٤كم جنوب شرق حيفا تبلغ مساحة أراضيها ٣٢,٥ كم٢.
٣٥ ـ عين حوض جنوب حيفا تقع ضمن أراضيها مستعمرة عين حوض اليهودية.
٣٦ ـ عين غزال: جنوب حيفا، مساحة أراضيها ١٨ كم٢، تقع ضمن أراضيها مستعمرة عين عيالا.
٣٧ ـ الغابة الفوقا: جنوب شرق حيفا.
٣٨ ـ الغابة التحتا: جنوب شرق حيفا.
٣٩ ـ النعنعية: جنوب حيفا.
٤٠ ـ الفريديس: جنوب غرب حيفا على بعد ٣١ كم.
٤١ ـ قنير: جنوب شرق حيفا.
٤٢ ـ قيره وقامون: جنوب شرق حيفا.
٤٣ ـ قيسارية: جنوب غرب حيفا وعلى الساحل مباشرة مساحة أراضيها ٣١,٧ كم٢.
٤٤ ـ كيارة: جنوب غرب حيفا.
٤٥ ـ كفر قرع: جنوب شرق حيفا.
٤٦ ـ كفر لام: جنوب غرب حيفا وعلى بعد ٢٦ كم وتقع ضمن أراضيها مستعمرة (هابونيم).
٤٧ ـ المزار: جنوب غرب حيفا.
٤٨ ـ مزرعة أبتان: جنوب حيفا.
٤٩ ـ هوشة: جنوب شرق حيفا.
٥٠ ـ وادي عارة: جنوب شرق حيفا.
٥١ ـ وعرة السريس: جنوب شرق حيفا.
٥٢ ـ ياجور: جنوب شرق حيفا.

أما المستعمرات في قضاء حيفا فقد بلغ عددها ٩٠ مستعمرة موزعة كالتالي[٦]:

---

٦ ـ الدباغ، ص ٦٩٩.

أولاً: مستعمرات نشأت في العهد العثماني وهي:

١ - زخرون يعقوب (زمارين)، بلغ عدد سكانها عام ١٩٦٥ حوالي ٤٥٥٠ يهودياً، تبعد عن حيفا حوالي ٣٥ كم، ويعمل سكانها في زراعة العنب وصناعة النبيذ. وقد أقيمت هذه المستعمرة عام ١٨٨٢ بعد أن اشترى اليهود داراً في قرية زمارين العربية ثم سميت زخرون يعقوب نسبة إلى يعقوب روتشيلد الذي أخذ ينفق عليها.

٢ - بات شلومو (أم الجمال) تأسست عام ١٨٨٩ وبلغ عدد سكانها عام ١٩٦١ حوالي ٢٠٠ نسمة.

٣ - الخضيرة أنشئت عام ١٨٩٠، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من قضاء حيفا، وتبعد عن حيفا مسافة ٥٠ كم، وبلغ عدد سكانها عام ١٩٦٦ حوالي (٣٠) ألف نسمة.

٤ - مئير مشفياه، أقيمت عام ١٨٩٢.

٥ - عليت، وبلغ عدد سكانها حوالي (٢٠٤٠) نسمة عام ١٩٦٥.

٦ - جيفة عدا، بلغ عدد سكانها عام ١٩٦٧١ حوالي ١٠٧٥ نسمة وتقع في الجزء الجنوبي الشرقي من لواء حيفا.

٧ - كركور، بلغ عدد سكانها عام ١٩٦٥ حوالي ٣٢٠ نسمة.

٨ - غن شموئيل أسست عام ١٩٣١ تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من القضاء.

ثانياً: المستعمرات التي نشأت في عهد الانتداب البريطاني وهي:

١ - بنيامينا: تبعد ٤٢ كم عن حيفا تأسست عام ١٩٢٢.

٢ - ياجوز: جنوب حيفا أقيمت عام ١٩٢٢ بلغ عدد سكانها عام ١٩٦٥ حوالي ١٢٠٠.

٣ - كلمي العازار: أنشئت عام ١٩٢٢ جنوب شرق حيفا بلغ عدد سكانها عام ١٩٦١ حوالي ٢٥٠ نسمة.

٤ - كفار حاسيديم: جنوب شرق حيفا تأسست عام ١٩٢٤ وصل عدد سكانها عام ١٩٦٥ حوالي ٤٠٠ نسمة.

٥ - رامات يوحانان: أقيمت عام ١٩٢٥ إلى الشرق من حيفا وعلى بعد ١٦ كم، بلغ عدد سكانها عام ١٢٦٥ حوالي ٥٣٠ نسمة.

٦ - نيشر: وتقع جنوب شرق حيفا تأسست عام ١٩٢٥ بلغ عدد سكانها (١٠) آلاف نسمة عام ١٩٦٦.
٧ - كفار أتا: أقيمت عام ١٩٢٥ بلغ عدد سكانها حوالي (١٨) ألف نسمة عام ١٩٦٥.
٨ - مشمرها عميق: أنشئت عام ١٩٢٦ على بعد ٢٢ كم جنوب شرق حيفا. وبلغ عدد سكانها عام ١٩٦١ (٦٨٠) نسمة.
٩ - سدي يعقوب: أقيمت عام ١٩٢٧.
١٠ - كفار يهوشوع: تأسست عام ١٩٢٧ بلغ عدد سكانها (٦٥٢) نسمة عام ١٩٦١.
١١ - عين شحر: أقيمت عام ١٩٢٧ جنوب شرق حيفا وصل عدد سكانها (٦٠٠) نسمة عام ١٩٦١.
١٢ - باردس حنا: بنيت عام ١٩٢٩ إلى الجنوب الشرقي من حيفا، بلغ عدد سكانها (٩٧٠٠) نسمة عام ١٩٦٥.
١٣ - تل تسور: أقيمت عام ١٩٣٢.
١٤ - كفار بانيس: تأسست عام ١٩٣٣.
١٥ - مشمارت: بنيت عام ١٩٣٣ بلغ عدد سكانها ٢٧٣ نسمة عام ١٩٦١.
١٦ - قريات حاييم: وتبعد عن حيفا باتجاه جنوبي شرقي حوالي ١٠ كم.
١٧ - عين عيرون: تأسست عام ١٩٣٤ بلغ عدد سكانها (٢٧٠) نسمة عام ١٩٦١.
١٨ - كفار بياليك: بنيت عام ١٩٣٤.
١٩ - قريات موكزكين: وتبعد ٩ كم إلى الشرق من حيفا تأسست عام ١٩٣٤ وبلغ عدد سكانها (١١,٧) ألف نسمة عام ١٩٦٥.
٢٠ - قريات بياليك: تأسست عام ١٩٣٤ بلغ عدد سكانها (١١,٥) ألف نسمة عام ١٩٦٥.
٢١ - قريات شموئيل: بنيت عام ١٩٣٥.
٢٢ - الروي: أقيمت عام ١٩٣٥.
٢٣ - يقنعان: أقيمت عام ١٩٣٥ وكان عدد سكانها (٤٠٥) نسمة عام ١٩٦٥.

٢٤ ـ قريات هاروشت: تأسست عام ١٩٣٥ .
٢٥ ـ شعارها عمقيم: بنيت عام ١٩٣٥ .
٢٦ ـ هازورعا: تأسست عام ١٩٣٦ بلغ عدد سكانها (٥٥٠) نسمة عام ١٩٦٥ .
٢٧ ـ بيت شعاريم: أقيمت عام ١٩٣٦ كان عدد سكانها (٣٦٠) نسمة عام ١٩٦١ .
٢٨ ـ كفارهام عكابي: أقيمت عام ١٩٣٦ وصل سكانها عام ١٩٦١ إلى حوالي ٣٢٢ نسمة .
٢٩ ـ قريات عامال: أنشئت عام ١٩٣٧ .
٣٠ ـ أوشا: تأسست عام ١٩٣٧ جنوب حيفا وصل سكانها عام ١٩٦٥ إلى حوالي ٣١٩ نسمة.
٣١ ـ عين هاشوفت: أنشئت عام ١٩٣٧ بلغ عدد سكانها (٥٧٠) نسمةعام ١٩٦٥ .
٣٢ ـ قريات بنيامين: أقيمت عام ١٩٣٧ إلى الشرق من حيفا ضمت عام ١٩٦٥ حوالي (٥٢٥٠) نسمة. تقع مصفاة نفط حيفا ومطارها بجوار هذه المستعمرة.
٣٣ ـ جن شومرون: تأسست عام ١٩٣٤ بلغ عدد سكانها ٣٣٠ نسمة عام ١٩٦١ .
٣٤ ـ معيان سفي: بنيت عام ١٩٣٨ كان بها عام ١٩٦١ حوالي ٤٩٠ نسمة .
٣٥ ـ كفار مازاريك: أنشئت عام ١٩٣٨ وصل عدد سكانها عام ١٩٦١ إلى ٥٨٤ نسمة .

٣٦ ـ عين حام مفراتس: بنيت عام ١٩٣٨ بلغ عدد سكانها ٥٢٦ نسمة عام ١٩٦١ .
٣٧ ـ دالية: تأسست عام ١٩٣٩ كان عدد سكانها حوالي ١٩٦١ عام ١٩٦١ .
٣٨ ـ كفار غاليكون: أنشئت عام ١٩٣٩ كان بها عام ١٩٦١ حوالي ٢٦٥ نسمة .
٣٩ ـ نفي يام: تأسست عام ١٩٣٩ بلغ عدد سكانها ٢٠١ نسمة عام ١٩٦١ .

٤٠ ـ بيت أورون : أقيمت عام ١٩٣٥ وصـل عدد سكـانها عام ١٩٦١ حوالي ٣٣٣ نسمة .

٤١ ـ عافيق أوافق : بنيت عام ١٩٣٩ إلى الشـرق من حيفـا بلغ عدد سكـانها حوالي ٥٢٢ عام ١٩٦٦ .

٤٢ ـ سدوت يام : أنشئت عام ١٩٤٠ جنـوب غرب حيفـا ، بلغ عدد سكـانها (٤٩٠) نسمة عام ١٩٦٥ .

٤٣ ـ رامات هاشوفت : تأسست عام ١٩٤١ كان عدد سكانها عام ١٩٦١ حوالي ٤٧٢ نسمة .

٤٤ ـ معنيت : تأسست عام ١٩٤٢ .

٤٥ ـ غيفعوت زيد : أقيمت عام ١٩٤٧ .

٤٦ ـ غان هاشمـرون : أقيمت عام ١٩٤٣ كان عدد سكـانها عام ١٩٦١ حوالي ٣٣٠ نسمة .

٤٧ ـ عين هاعميق : بنيت عام ١٩٤٤ بلغ عدد سكانها حوالي ٣٠٠ نسمةعم ١٩٦١ .

٤٨ ـ بن اسحق : أنشئت عام ١٩٤٥ .

٤٩ ـ قريات يام : تأسست عام ١٩٤٦ كان بهاعام ١٩٦٥ حوالي (١٣,٤) ألف نسمة .

٥٠ ـ عين حاييم : تأسست عام ١٩٤٧ .

٥١ ـ عين كرمل : أقيمت عام ١٩٤٧ كان عدد سكانها عام ١٩٦١ حوالي ٤١٩ نسمة .

٥٢ ـ مشمار هيام : تأسست عام ١٩٦١ وبلغ عدد سكانها (٣٠٠) نسمة عام ١٩٦١ .

ثالثاً : المستعمرات التي أقيمت بعد النكبة عام ١٩٤٨ :

١ ـ أفيل : ١٩٤٨ وصل عدد سكانها عام ١٩٦١ إلى حوالي ٢٨٩ نسمة .

٢ ـ الوني تيسحاق : ١٩٤٩ بلغ عدد سكانها حوالي ٢٠٧ يهودي عام ١٩٦١ .

٣ ـ الياقيم : ١٩٤٩ .

٤ ـ أورعقيفا : ١٩٥١ كان بها عام ١٩٦٦ حوالي ٥٤٠٠ نسمة .

٥ ـ برفاي : ١٩٤٩ .
٦ ـ بيت حنانيا : ١٩٥٠ كان عدد سكانها عام ١٩٦١ حوالي ٢٩٧ نسمة .
٧ ـ تسروفاه : ١٩٤٩ .
٨ ـ جفعات حفيفاه : ١٩٥١ .
٩ ـ جفعات نيلي : ١٩٥٣ السكان عام ١٩٦١ حوالي ٢٣٩ .
١٠ ـ جيلعام : ١٩٥١ .
١١ ـ زمات هاداسا : ١٩٤٩ .
١٢ ـ راموت منشه : ١٩٤٨ وصل عدد سكانها عام ١٩٦١ الى ٣٥٢ نسمة .
١٣ ـ رجافيم : ١٩٤٨ وصل عدد سكانها عام ١٩٦١ حوالي ١٥٢ نسمة .
١٤ ـ ريخاسم : ١٩٥٦ .
١٥ ـ طيرة هاكرمل : ١٩٥١ .
١٦ ـ عسفر : ١٩٥٠ السكان عام ١٩٦١ حوالي ٢٠٢ نسمة .
١٧ ـ عميقام : ١٩٥٠ كان سكانها عام ١٩٦١ حوالي (٢٢٥) نسمة .
١٨ ـ عين نعمان : ١٩٥٠ .
١٩ ـ كرم مهرال : ١٩٥٠ .
٢٠ ـ كفار تسفي : ١٩٥٣ .
٢١ ـ كفار جليم : ١٩٥٢ كان عدد السكان عام ١٩٦١ حوالي ٣٥٠ نسمة .
٢٢ ـ كفار حسيديم الثانية : ١٩٥٠ .
٢٣ ـ فار حسيديم الثالثة : ١٩٥٩ .

٢٤ ـ مجاديم : ١٩٤٩ كان عدد السكان عام ١٩٦١ حوالي ٥٠٠ نسمة .
٢٥ ـ معجان ميخائيل : ١٩٤٩ كان عدد سكانها ٥٨٠ نسمة عام ١٩٦١ .
٢٦ ـ نخشوليم : ١٩٤٨ كان عدد سكانها ٢٣٠ نسمة عام ١٩٦١ .
٢٧ ـ نحلاوت : ١٩٥٤ .

٢٨ ـ نير كسيون : ١٩٥٠ كان عدد سكانها ٤٥٠ نسمة عام ١٩٦٥
٢٩ ـ يمن أورد : ١٩٥٣

المواقع الأثرية والتاريخية في قضاء حيفا

تكثر المواقع الأثرية والتاريخية في قضاء حيفا، حيث تتمثل معظم الآثار في المقابر والمنحوتات الصخرية، وأنقاض الأبنية القديمة، والابراج والفخار المزخرف والملون بأشكاله المختلفة، والقطع الفسيفسائية والسراديب. وأهم هذه المناطق هي[٧]:

١ ـ تل الوعر.
٢ ـ التدويرة.
٣ ـ خربة الخضيرة.
٤ ـ خربة جابر.
٥ ـ الجحم.
٦ ـ خربة الجاحوش.
٧ ـ خربة الدريهمة.
٨ ـ خربة الزبدة.
٩ ـ خربة زيتونة.
١٠ ـ خربة السمراء.
١١ ـ خربة الصهاريج.
١٢ ـ خربة ضاحي.
١٣ ـ خربة عطاسي.
١٤ ـ خربة القصب.
١٥ ـ خربة الكرك.
١٦ ـ خربة النزلة.
١٧ ـ خربة نسوس.
١٨ ـ رأس العين.
١٩ ـ شبانة.
٢٠ ـ عدلان.

---

٧ ـ الدباغ، ص ٦٧٨.

٢١ ـ عقد العزرية.
٢٢ ـ عين اسماعيل.
٢٣ ـ عيون خضيرة.
٢٤ ـ جعارة خضيرة.
٢٥ ـ قصر فقس.
٢٦ ـ المحشورة.
٢٧ ـ وادي معصيدي.
٢٨ ـ نمبعت هابو عاليم.

القرى العربية التي أزيلت من قضاء حيفا في العهد العثماني:

تعرض كثير من القرى العربية للتدمير والإزالة في العهد البريطاني، بهدف إقامة مستوطنات للمحتلين اليهود على أراضي هذه القرى. وأهم القرى العربية التي اختفت عن الوجود في قضاء حيفا هي[٨]:

١ ـ أم العلق: وقد أقيم في موضعها مستعمرة تل تسور.
٢ ـ الشلالة: حيث أقيمت عليها مزرعة بعاروت هاكرمل.
٣ ـ خربة الشركس: تقع شرق الخضيرة وقد أقيمت فوق أنقاض هذه القرية مستعمرة تلمي العازر.
٤ ـ كفرنَيا: تقع في سهل عكا. أقيمت بدلاً منها مستعمرة كفار أتا.
٥ ـ الدار البيضاء: تقع شرقي حفا، وقد أقيم على أنقاضها مستعمرة قريات بنيامين.
٦ ـ تل الشمام: تبعد ٢١ كم عن حيفا، أقيمت على أنقاضها مستعمرة كفار يهدشع.
٧ ـ الغابة: شمال شرق الخضيرة، وقد اندثرت هذه القرية بعد عام ١٩٣١.
٨ ـ جعارة: أنوب شرق حيفا، أقيم على أنقاضها مستعمرة عين هاشوفت.
٩ ـ المراح: جنوب شرق حيفا، أقيم على انقاضها مستعمرة جفعت عدا.

---

٨ ـ الدباغ، ص ٥٤٧.

١٠ ـ الشيخ بريك : جنوب شرق حيفا على بعد ١٨ كم ، وقد أقيمت على أنقاضها عدة مستعمرات وهي :

- سدي يعقوب .
- قريات هاروشت .
- الروي .
- شعار هاعمقيم .
- قريات عامال .
- جفعت زيد .

١١ ـ أم الدفوف : جنوب شرق حيفا ، وقد أقيمت على أنقاضها مستعمرة دالية .

١٢ ـ الهريج : جنوب شرق حيفا ، أقيمت عليها مستعمرة كفار حسيديم .

١٣ ـ الحارثية : جنوب شرق حيفا ، على بعد ١٥ كم ، اندثرت هذه القرية بعد عام ١٩٣١ .

١٤ ـ كركور : جنوب شرق حيفا ، أقيمت على أنقاضها مستعمرة تحمل نفس الاسم العربي .

١٥ ـ زمارّين : وأقيم في موضع هذه القرية العربية مستعمرة زكرون يعقوب .

١٦ ـ العبية التحتا : دمرها اليهود وأقاموا بدلاً منها مستعمرة مشمارها عميق .

الفصل السابع

حيفا اليوم

حيفـا هي ثالث أكبر مدن فلسطين المحتلة من حيث عدد السكـان بعـد القدس وتل أبيب، حيث تطور عدد سكانها في العقد الأخير كما يلي:[1]

	عدد السكان / ألف نسمة	نسبة السكان اليهود
١٩٧٥	٢٢٧,٢	٩٣,٢
١٩٨٠	٢٣٠	٩٣,١
١٩٨٣	٢٢٥,٨	٩٢,٣
١٩٨٥	٢٢٤,٦	٩١,٦
١٩٨٦	٢٢٣,٤	٩١,٤

بلغت مساحة المدينة حوالي ٣, ١٨١كم[2]، وبذلك تكون الكثافة السكانية في المدينة عام ١٩٨٦ حوالي ١٢٣٢ نسمة/كم[2]. وهي من أعلى الكثافات السكانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ويتوزع سكان المدينة على ثلاثة أقسام رئيسة تشكل مجتمعة مدينة حيفا وهذه الأقسام هي:

١ ـ حيفا السفلى وتشمل الميناء أيضاً.

٢ ـ هادار كرمل.

٣ ـ هادارها كرمل على قمة جبل الكرمل.

---

١ ـ Statistishes, p. 217 .



حيفا قبل الاحتلال (الخالدي : ١٩٨٧)

وتعتبر منطقة حيفا أكثف هذه الأقسام سكاناً، نظراً لتركز معظم النشاطات الاقتصادية في هذا الجزء من المدينة.

النشاطات الاقتصادية في المدينة:

تتنوع النشاطات الاقتصادية في المدينة، ويتوزع السكان العاملون في القطاعات الاقتصادية المختلفة بالنسب التالية:[٢]

٢٥٪ من السكان العاملين يشتغلون في قطاع الصناعة.

١٣٪ من السكان العاملين يشتغلون في قطاع المواصلات.

٣٥٪ من السكان العاملين يشتغلون في قطاع التجارة والخدمات.

٢٧٪ من السكان العاملين يشتغلون في قطاع الزراعة.

وإذا كانت حيفا ثالث مدن فلسطين من حيث السكان، فهي اليوم ثاني أكبر تجمع صناعي في فلسطين. ومن أشهر صناعاتها، مصنع نيشر للإسمنت، ومصنع فينيقيا للزجاج، ومصانع كايز وفرايزر للسيارات.

وفيما يتعلق بالمواصلات، فتمثل مدينة حيفا أكبر وأهم عقدة مواصلات في البلاد فهناك النقل البري، الذي يتمثل في خطوط سكة الحديد المرتبطة بجميع

---

٢ ـ هدسون ص ١٧.

أنحـاء فلسطـين، إلى جانب الخطـوط الـبريـة؛ والنقل البحري والجوي، حيث المطـار والميـنـاء. وتعتـبر نسبة العاملين في قطاع النقل في حيفا أعلى نسبة بين جميع المدن الفلسطينية.

أما بالنسبة لقطاع الخدمات، فترتفع نسبة العاملين فيه، خاصة فيما يتعلق بخـدمـات النقـل وعمليـات الاستيراد والتصدير، وكذلك المطاعم والفنادق التي أشهرها فندق حيفا زيون، دان، شولاميط.

استخدام الأرض في المدينة:

تتنـوع استخـدامـات الأرض في حيفـا نتيجة تنوع النشاطات الاقتصادية فيها، وأهم استخدامات الأراضي في المدينة هي كما يلي:

١ - المنطقة السكنية في الجزء الجنوبي من المدينة.

٢ - المنطقة الصناعية في الجزء الشرقي والشمالي الشرقي من المدينة.

٣ - المنطقة التجارية في منتصف المدينة.



حيفا اثناء الانتداب (كرمل: ١٩٧٩)

٤ ـ الميناء في الجزء الساحلي من المنطقة الشمالية الغربية من المدينة .

٥ ـ ينتشر النطاق الزراعي حول المدينة في الأجزاء الشرقية والجنوبية والجنوبية الغربية ، بينما تغطي سفوح الكرمل بالأشجار الحرجية والغابات .

وهناك استخدامات متنوعة أخرى للأرض في مدينة حيفا ؛ فالمساحات الخضراء التي تمثلها الحدائق والمنتزهات تنتشر في كافة أرجاء المدينة .

الخدمات الأساسية في المدينة :

تنتشر المرافق والخدمات الأساسية في كافة أنحاء المدينة وأشهرها :

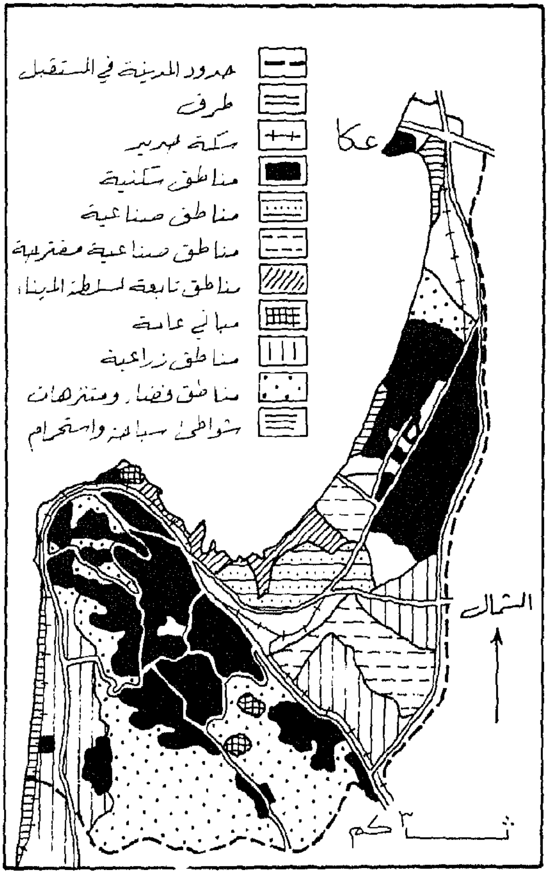
١ ـ المرافق السياحية وتمثلها المنتزهات والحدائق والفنادق والمتاحف ، إلى جانب المناطق الأثرية والتاريخية .

٢ ـ الخدمات التعليمية : وتتمثل في أعداد كبيرة من مدارس الذكور والإناث الابتدائية والإعدادية والثانوية ، إلى جانب أعداد كبيرة من المعاهد العليا وأهمها :

١) معهد التكنيون .
٢) المعهد البيولوجي .
٣) مختبر الإشعاع الشمسي .
٤) مختبر المائيات .
٥) مختبر تسوية المناخات .
٦) جامعة حيفا على قمة الكرمل .

٣ ـ الخدمات الصحية : وتتمثل في مجموعة من المراكز والمستشفيات أهمها :

١) مستشفى اليشع .
٢) المستشفى الحكومي .
٣) مستشفى روتشيلد .
٤) مستشفى رامبام .
٥) المستشفى الإيطالي .
٦) مستشفى بيطر
٧) مستشفى الكرمل .



استخدامات الأرض في حيفا (Yehuda: 1971)

المرافق والمعالم الرئيسة في المدينة:

وتتمثل هذه في مجموعة من المعالم المميزة الرئيسة في المدينة مثل[٣]:

١ ـ عمارة داجون غراين وهي أعلى عمارة في فلسطين المحتلة.

---

٣ ـ صايغ، ص ١٧٣.

٢ ـ محطة القطارات .

٣ ـ محطة الباصات المركزية .

٤ ـ دار البلدية .

٥ ـ مزار البهائيين .

٦ ـ غابة حيفا .

٧ ـ الاستاد الرياضي .

٨ ـ مسرح بلدية حيفا .

٩ ـ محطة مراقبة الإشعاعات النووية .

١٠ ـ الكنيس الرئيسي .

١١ ـ الوكالة اليهودية .

١٢ ـ دائرة الهجرة اليهودية .

١٣ ـ مطار وميناء حيفا .

المراجع

١ ـ ألبرت ريحاني «الموسوعة العربية» بيروت ١٩٥٥ .

٢ ـ البستاني «دائرة المعارف» ، م ٧، طهران ١٩٧١ .

٣ ـ احمد الشنتاوي «دائرة المعارف الاسلامية»، القاهرة ١٩٧٤ .

٤ ـ احمد عطية الله «دائرة المعارف الحديثة»، م٢، القاهرة ١٩٧٩ .

٥ ـ «الموسوعة الفلسطينية»، م ٢، دمشق ١٩٨٤ .

٦ ـ الكس كرمل «تاريخ حيفا في العهد العثماني» ترجمة تيسير الياس، حيفا ١٩٧٩ .

٧ ـ أنيس صايغ، «بلدانية فلسطين المحتلة» ، بيروت ١٩٦٨ .

٨ ـ حسن صالح «سكان فلسطين ديمغرافيا وجغرافيا» عمان ١٩٨٥ .

٩ ـ حسين سعيد «الموسوعة الثقافية» القاهرة ١٩٧٢ .

١٠ ـ جمال حمدان «المدينة العربية» معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .

١١ ـ جميس هدسون «جغرافية فلسطين المحتلة» بيروت ١٩٦٩ .

١٢ ـ جميل بحري «تاريخ حيفا» دمشق ١٩٨٢ .

١٣ ـ عبد الرحمن أبو عرفة «الاستيطان» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١ .

١٤ ـ قسطنطين خمار «جغرافية فلسطين المصورة» بيروت ١٩٦٧ .

١٥ ـ قسطنطين خمار «موسوعة فلسطين الجغرافية» بيروت ١٩٦٩ .

١٦ ـ محمد توفيق محمد «الجغرافيا السياسية لاسرائيل» معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧ .

١٧ ـ محمد سلامة النحال «جغرافية فلسطين» بيروت ١٩٦٦ .
١٨ ـ محمد السيد غلاب «تطور سكان فلسطين ١٩١٨ ـ ١٩٦٥» مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، ج ٣ القاهرة ١٩٧٣ .
١٩ ـ محمد شفيق غربال «الموسوعة العربية الميسرة» القاهرة ١٩٦٥ .
٢٠ ـ محمد مدحت جابر «بعض جوانب جغرافية العمران في فلسطين» الاسكندرية ١٩٨٥ .
٢١ ـ محمد محمود الصياد «جغرافية التوطن اليهودي في فلسطين» مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، م١ القاهرة ١٩٦٩ .
٢٢ ـ محمود العابدي «من تاريخنا» المجموعة الثانية، عمان ١٩٦٣ .
٢٣ ـ مصطفى مراد الدباغ «بلادنا فلسطين» ج٧ ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
٢٤ ـ هيئة القدس العلمية «كشاف البلدان الفلسطينية» ج٣، بيروت ١٩٧٤ .
٢٥ ـ وليد الخالدي «قبل الشتات» بيروت ١٩٨٧ .
٢٦ ـ ياقوت الحموي «معجم البلدان» ج٣، بيروت ١٩٧٤ .
٢٧ ـ Atlas of Israel, Amsterdam 1970
٢٨ ـ E. Orni and E. Egrat «Geography of Israel» Jerusalem 1976
٢٩ ـ Sami Hadawi «villags statistics- 1945» Beirut 1970
٣٠ ـ K. Yehuda «Israel: aregional geography» London 1971.
٣١ ـ Statistishes Bundesamt, wiebaden, 1988.
٣٢ ـ K. Yehuda «Israel» Darmstadt, 1983.
٣٣ ـ G. Yehuda «The spatial urban ecology of Metro politan Haifa-ph. D. university of Pittsburgh. U.S.N. 1971.
٣٤ ـ S. Graham- Brown; Palastinians and Their Society 1880- 1964 «A Photographic Essay», Quartet Books- London 1980.

صدر عن سلسلة المدن الفلسطينية :

١ ـ يافا
٢ ـ عكا
٣ ـ نابلس
٤ ـ رام الله والبيرة
٥ ـ الرملة
٦ ـ القدس
٧ ـ بيسان
٨ ـ بئر السبع والصحراء الفلسطينية
٩ ـ بيت لحم
١٠ ـ جنين
١١ ـ صفد
١٢ ـ غزة
١٣ ـ اللد
١٤ ـ طولكرم
١٥ ـ الناصرة
١٦ ـ المجدل وعسقلان
١٧ ـ ـ أريحا
١٨ ـ خان يونس
١٩ ـ الخليل
٢٠ ـ طبر يا
٢١ ـ حيفا

حين يكون الوطن بعيداً أو أنت مبعد عنه ...

وحين تستمر أجيال الوطن في التوالد بعيداً عن أرضه دون أن تلمس ترابه أو تشم ثراه المجبول بالدم والمعطر برائحة البرتقال والزيتون ...

وحين يكون الحنين لفلسطين مدناً وقرىً وبحراً وسهلاً وجبلاً يتردد صداه غناء وبكاء في كل بيت وصدر فلسطيني ...

وحين يعمد العدو الغاصب ـ وبعد أن اقتلع الشعب من وطنه ـ إلى اقتلاع حجارة الوطن وأشجاره ليمحو مدنه وقراه وآثاره بهدف تغيير معالم الوطن ورسم صورته على هواه ...

وحتى تظل فلسطين ، تاريخاً وتراثاً وحضارةً ونضالاً ، حية في عقل كل فلسطيني وعربي ...

وحتى تظل فلسطين مجسّدة بجبالها وسهولها ومعالمها في عيون كل الأجيال الفلسطينية والعربية وهي تناضل من أجل تحريرها واستعادتها ... كان علينا أن نقرّبها ، أن نقرّب الوطن البعيد من الأجيال التي لم يكتب لها أن تراه حتى الآن ، فكانت هذه السلسلة من الكتب التي جاءت ثمرة تعاون بنّاء بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

عبد الله الحوراني

الثمن : الأردن ١ دينار ، **الإمارات العربية المتحدة** ١٠ دراهم ، **المملكة العربية السعودية** ١٠ ريال ، **قطر** ١٠ ريال ، **الكويت** ١ دينار ، **سورية ولبنان** ٢٥ ل.س ، **والبلدان الأخرى** ٢ دولار .